# المسائل العقدية المتعلقة بالصّورة والتصوير

دكتور/ أحمد بن صالح الزهراني
أستاذ العقيدة المشارك
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

**ملخص**

يتناول البحث المسائل العقدية المتعلقة بمفردة (ص و ر) وهي دائرة حول الفعل (التصوير) وحول المفعول (الصورة)، فذكرنا أولاً تعريف الصورة والمراد منها، وذكر أهمّ خطأين وقع فيهما أهل المنطق بشأنها وهو اعتقادهم أنّ الحد يفيد التصور للمحدود، وحصرهم التصور في الحدود المنطقية، ثم ذكرنا مسائل متعلقة بتوحيد المعرفة والإثبات ألا وهي: وصف الله بالتصوير وإثبات اسمه المصور، وإثبات الصورة لله تعالى، وكذلك الإيمان بما دل عليه حديث خلق آدم على صورة الرحمن وبيان معناه بما لا يفهم منه تمثيل الله بخلقه، ثم ذكرنا مسائل متعلقة بتوحيد الألوهية، فذكرنا حكم التصوير وكيف يتعارض مع الإيمان بالتوحيد وتعظيم الرب، ثم ذكرنا اتخاذ الصور، وبعد ذلك تحدثنا عن أثر الصور في القلب وسلامة القلب، ثم أفردنا فصلا للحديث عن مسألتين خبريتين الأولى هي تشكل الملائكة والجن في الصور الحسية، والأخرى هي مسألة مسخ بعض البشر على هيأة الحيوان وموقف السلف مخالفيهم منها، ثم ذكرنا النتائج والتوصيات الّتي خرجنا بها من البحث.

١ ) الأندلسي: ابن جابر، شعر ابن جابر الأندلسي، ت: د. أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين، دمشق، ط١ ،١٠٠٧م.

**Abstract**

The research deals with nodal issues related to the singular (P and R), which is a circle around the verb (imaging) and about the effect (the image). The logical boundaries, then we mentioned issues related to the unification of knowledge and evidence, namely: describing God with photography and proving his illustrated name, and proving the image of God Almighty, as well as believing in the hadith that Adam created in the image of the Most Gracious and explaining its meaning with what is not understood from him representing God with his creation, then we mentioned related issues By uniting divinity, we mentioned the rule of photography and how He contradicted belief in monotheism and the glorification of the Lord, then we mentioned taking pictures, and after that we talked about the effect of images on the heart and the integrity of the heart, then we singled out a chapter to talk about two expert matters the first is the formation of angels and jinn in sensory images, and the other is the issue of deformation of some people in the form of animals and the position of the predecessor Those who disagreed with them, then we mentioned the results and recommendations that we got out of the research.

**مقدمة**

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد جاء في القرآن العزيز والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام الحديث عن الصورة والتصوير، وتعلقت بهما مسائل عديدة في أصول الدين وفروعه، وقد أحببت أن أجمع هذه المسائل وأستبين فيها وجه الصواب في بحث لا هو بالطويل الممل ولا القصير المخلّ .

وقد جعلته في مقدمة وثلاثة فصول:

أمّا المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياري له والدراسات السابقة.

**الفصل الأول: مسائل في توحيد المعرفة والإثبات وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: وصف الله بالتصوير واسمه المصور.

المبحث الثاني: إثبات الصورة لله.

المبحث الثالث: خلق آدم على صورة الرحمن.

**الفصل الثاني: مسائل في توحيد العبادة، وفيه ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: التصوير

المبحث الثاني: اتخاذ الصور

المبحث الثالث: أثر الصور الحسية على القلب وسلامة القلب

**الفصل الثالث: مسائل خبرية، وفيه مباحث:**

المبحث الأول:تشكل الملائكة والجن في الصور

المبحث الثاني:نصوص المسخ للكلب أو الحمار أو الخنزير

ثم الخاتمة وذكرت فيها نتيجة البحث والتوصيات التي خرجت بها.

**الدراسات السابقة:**

وجدت العديد من المقالات والبحوث العلمية التي تتحدث عن التصوير وحكمه،أمّا جمع المسائل العقدية التي تدور حول مفردة (صور) فلم أجد – فيما اطلعت عليه– بحثا جمعها ودرسها دراسة عقدية.

والله أسأل أن ينفعني به ومن قرأه وأن يجعله ذخراً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

**الفصل الأول: مسائل في توحيد المعرفة والإثبات**

**وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:**

**تمهيد: الصورة في اللغة والاصطلاح**

قال ابن فارس [1]« الصاد والواو والراء كلمات كثيرة متباينة الأصول، وليس هذا الباب بباب قياس ولا اشتقاق».

وهو كما قال رحمه الله، حيث ذكر عددا من المفردات التي تتكون من الأحرف الثلاثة، والذي يهمنا من الباب ما يتعلق ببحثنا، حيث قال:«من ذلك:الصورة، صورة كل مخلوق، والجمع صُوَر، وهي هيئة خلقته»[2].

فالصورة في اللغة هي شكل الشيء وهيئته، و في التنزيل العزيز:﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٧-٨]، وتطلق كذلك على التمثال سواء كان مجسما ومنه قوله ﷺ: «لاتدع صورة إلا طمستها»[3]، أو ليس له ظل،ومنه قوله ﷺ لعائشة: «أميطي عنا قرامك هذا فإنه لا تزال تصاويره تعرض في صلاتي»[4].

إذن فالصورة هيئة الشيء وشكله المميزة له عمن سواه، وقد تكون للجنس أو النوع أو الفرد، فصورة الإنسان تميزه عن الحيوان والشجر وغيرهما، وصورة زيد تميزه عن عمرو، وهكذا في سائر الأجناس والأنواع.

والقرآن والسنة وَرَدا على لغة العرب، وفي ضوئها نفهم النص الشرعي، أمّا الاصطلاح المنطقي، فيقول الغزالي:« واسم الصورة مشترك بين ستة معان:

الأول: هو النوع، يطلق ويراد به النوع الذي تحت الجنس، وحده بهذا المعنى حد النوع، وقد سبق في مقدمات كتاب القياس.

الثاني: الكمال الذي به يستكمل النوع استكماله الثاني، فإنه يُسمى صورة، وحدُّه بهذا المعنى: كل موجود في الشيء لا كجزء منه، ولا يصح قوامه دونه ولأجله وجد الشيء مثل العلوم والفضائل في الإنسان.

---

(١)الإمام العلامة، اللغوي المحدث، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي، أجل كتبه (المجمل في اللغة) و(مقاييس اللغة) قال الذهبي: «كان من رؤوس أهل السنة المجردين على مذهب أهل الحديث»، توفي سنة (٣٩٥هـ)، انظر سير أعلام النبلاء (١٠٣/١٧).

(٢)معجم مقاييس اللغة (٢٤٩/٣).

(٣)أخرجه مسلم (ح٩٦٩).

(٤)أخرجه البخاري (ح ٣٧٤).

الثالث: ماهية الشيء كيف كان، قد يُسمى صورة، فحدُّه بهذا المعنى: كل موجود في الشيء لا كجزء منه، ولا يصح قوامه دونه كيف كان.

الرابع: الحقيقة التي تقوم المحل بها، وحدُّه بهذا المعنى:أنه الموجود في شيء آخر لا كجزء منه ولا يصح وجودها مفارقا له، لكن وجوده هو بالفعل حاصل له مثل صورة الماء في هيولي الماء، إنما يقوم بالفعل بصورة الماء أو بصورة أخرى حكمها حكم سورة الماء، والصورة التي تقابل بالهيولي هي هذه الصورة.

الخامس: الصورة التي تقوم النوع يسمى صورة، وحدُّه بهذا المعنى:أنه الموجود في شيء لا كجزء منه ولا يصح قوامه مفارقاً له، ولا يصح قوام ما فيه دونه، إلا أن النوع الطبيعي يحصل به كصورة الإنسانية والحيوانية في الجسم الطبيعي الموضوع له.

السادس: الكمال المفارق وقد يسمى صورة، مثل النفس للإنسان، وحدُّه بهذا المعنى: أنه جزء غير جسماني مفارق يتم به، وبجزء جسماني نوع طبيعي»[1].

وقال:«وأما الصورة فبها قوام الشيء، إذ السرير سرير بصورته لا بخشبه، والإنسان إنسان بصورته لا بجسمه، والأشياء هيآتها بالصور لا بالمواد، فلا يخفى كون القوام بها فإنه إذا قيلك لم صارت هذه النطفة إنسانا وهذا الخشب سريرا؟ فيقال: بحصول صورة الإنسانية وحصول صورة السريرية»[2].

والخلاصة أنّ الصورة في الحد المنطقي كذلك تعني عادة الشكل والهيأة الّتي تكون عليها المادة، ويتجوز في استعمالها للدلالة على الصورة الذهنية للأشياء، وصورة المسألة، ويتجوز المناطقة كما مر في كلام الغزالي في استعمال لفظ الصورة.

والذي يهمنا هنا أن نذكر أهمّ أخطاء المناطقة في حدّ الصّورة وأوهامهم فيها، وهو ما سرى في عقائد المتكلمين الذين أخذو عنهم هذه الأخطاء وفسروا بها نصوص الصفات وكثير من السمعيات.

١- الحد المنطقي وعلاقته بالصورة والتصور.

تحدث المناطقة في كتبهم كثيرا عن التعريف، وفرقوا في التعريف بين الحدّ والرّسم، ووضعوا لذلك أصولاً وقواعد ترجع إلى استعمال الكليات الخمس في التعريف، وهي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام [3]، قال الغزالي في المعيار:«المطلوب هو العلم، والعلم ينقسم إلى العلم بذوات الأشياء، كعلمك بالإنسان والشجر والسماء وغير ذلك، ويُسَمّى

---

(١)معيار العلم (ص٢٩٧).

(٢)السابق . (ص٢٥٩).

(٣)ضوابط المعرفة للميداني (ص٣٩).

هذا العلم تصوراً، وإلى العلم بنسبة هذه الذوات المتصورة بعضها إلى بعض إما بالسلب أو بالإيجاب، كقولك الإنسان حيوان، والإنسان ليس بحجر، فإنك تفهم الإنسان والحجر فهما تصوريا لذاتهما، ثم تحكم بأن أحدهما مسلوب عن الآخر أو ثابت له، ويُسَمّى هذا تصديقاً لأنه يتطرق إليه التصديق والتكذيب.

فالبحث النظري بالطالب إما أن يتجه إلى تصوّر أو إلى تصديق، والموصل إلى التصوّر يُسَمى قولاً شارحاً فمنه حدٌّ ومنه رسمٌ، والموصل إلى التصديق يسمى حجة فمنه قياس ومنه استقراء وغيره»(١).

ولهذا تجد في كتب أصول الفقه كلاماً كثيراً عن التعريف بالحدّ والرّسم والكلام في الحد وأنواعه وشروطه وضوابطه، كل ذلك لأنّ المناطقة يمنعون التصور بغير الحدّ، ويهتمون بالماهيات ومقوماتها، لأنّ العلم بها – عندهم – يعني القدرة على التعريف بالحد الذي يفيد التصور التام (٢).

والذي يهمنا هنا هو حصر المناطقة للتصور في الحدود، وقولهم إنّ الحد يفيد التصور، وكلا المقدمتين نقضها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الرد على المنطقيين) من وجوه عديدة وبنى عليها كتابه ذاك، ونتيجة كلامه أن الأمم جميعهم من أهل العلم والمقالات وأهل العمل والصناعات يعرفون الأمور التي يحتاجون إلى معرفتها ويحققون ما يعانونه من العلوم والأعمال من غير تكلم بحد منطقي، ولا نجد أحدا من أئمة العلوم يتكلم بهذه الحدود لا أئمة الفقه ولا النحو ولا الطب ولا الحساب ولا أهل الصناعات مع أنهم يتصورون مفردات علمهم فعلم استغناء التصور عن هذه الحدود(٣).

وقال كذلك:« المحققون من النظار يعلمون ان الحد فائدته التمييز بين المحدود وغيره كالاسم ليس فائدته تصوير المحدود وتعريف حقيقته وإنما يدعى هذا أهل المنطق اليوناني أتباع ارسطو ومن سلك سبيلهم وحذا حذوهم تقليدا لهم من الإسلاميين وغيرهم فأما جماهير أهل النظر والكلام من المسلمين وغيرهم فعلى خلاف هذا.

وإنما دخل هذا في كلام من تكلم في أصول الدين والفقه بعد أبي حامد في أواخر المائة الخامسة وأوائل المائة السادسة فأما أبو حامد فقد وضع مقدمة منطقية في أول المستصفى وزعم أن من لم يحط بها علما فلا ثقة له بشيء من علومه، وصنف في ذلك محك النظر ومعيار العلم ودواما اشتدت به ثقته وأعجب من ذلك أنه وضع كتابا سماه القسطاس المستقيم

(١)وانظر المنطق لابن سينا (ص٤).

(٢)انظر على سبيل المثال مقدمة المستصفى للغزالي.

(٣)الرد على المنطقيين (ص٨).

ونسبه الى أنه تعليم الانبياء وإنما تعلمه من ابن سينا، وهو تعلمه من كتب ارسطو، وهؤلاء الذين تكلموا في الحدود بعد أبي حامد هم الذين تكلموا في الحدود بطريقة أهل المنطق اليوناني.

وأما سائر طوائف النظار من جميع الطوائف المعتزلة والاشعرية والكرامية والشيعة وغيرهم ممن صنف في هذا الشأن من اتباع الائمة الاربعة وغيرهم فعندهم إنما تفيد الحدود التمييز بين المحدود وغيره بل أكثرهم لا يسوغون الحد إلا بما يميز المحدود عن غيره ولا يجوز ان يذكر في الحد ما يعم المحدود وغيره سواء سمي جنسا او عرضا عاما وإنما يحدون بما يلازم المحدود طردا وعكسا ولا فرق عندهم بين ما يسمى فصلا وخاصة ونحو ذلك مما يتميز به المحدود من غيره، وهذا مشهور في كتب اهل النظر في مواضع يطول وصفه »[1].

وليس الغرض هنا استقصاء الرد على المناطقة وذكر ما ذكره وإنّما الإشارة إلى واحد من أهمّ الأخطاء في الصورة والتصور عند أهل الاصطلاح.

٢- انفصال الصورة عن المادة.

المادة أو ما يسميه الفلاسفة : الهيولي أو الجوهر لا وجود له بالفعل إلاّ متشكلة بصورة، ولا توجد في الواقع صورة دون هيولي ، فذهن الفيلسوف يجرد الجسم من كلّ الصور الجسمانية، حتى يرى المادة أو الجوهر غير متشكل بشكل منها، فيُسمي ذلك هيولي، ويرى الشكل متجرداً من المادة أو الجوهر فيسمي ذلك صورة[2].

وبسبب هذا الخلط قال من قال بإنكار الصورة لله رب العالمين كما سيأتي، وكذلك من قال بالحلول والاتحاد، كابن عربي[3] وابن سبعين [4]، وهو أصلٌ فلسفي في نشأته، قال شيخ الإسلام: «وقد تنازعوا في إمكان انفراد المادة عن الصورة، فأرسطو[5]وأصحابه على أنه

---

(1)الرد على المنطقيين (١٤-١٥).

(٢)ضوابط المعرفة (٣٤٩-٣٥٠).

(٣) محمد بن علي بن محمد ابن العربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الاكبر: فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم. وأنكر عليه أهل الديار المصرية (شطحات) صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، له نحو أربعمائة كتاب ورسالة منها: الفتوحات المكية، محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار، مفاتيح الغيب، توفي: سنة (٦٣٨ه)، راجع: خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، (٢٨١/٦)

(٤)عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين، القرشي، المخزومي، كان صوفيا على قاعدة زهد الفلاسفة وتصوفهم. وله كلام كثير في العرفان على طريق الاتحاد والزندقة، توفي: سنة (٦٦٩ه)، راجع: محمد بن احمد الذهبي، تاريخ الاسلام،(٤٩/ ٢٨٣-٢٨٧).

(٥)أرسطوطاليس بن نيقوماخس الفيثاغوري، ومعنى أرسطوطاليس: تام الفضيلة، كان تلميذ أفلاطون، إليه انتهت فلسفة اليونانيين، وهو خاتمة حكماءهم، وسيد علماءهم، وبسببه كثرت الفلسفة وغيرها من العلوم القديمة في البلاد الإسلامية، له كتب في جميع العلوم الفلسفية، منها: (الأرغانون في المنطق)، توفي سنة (٣٢٢ ق.م.) انظر آراءه في الملل والنحل(١١٨/٢).

يمكن انفكاكها عنها، بخلاف أفلاطون[1]،ويزعمون أنّ المادّة جوهر روحاني قائم بنفسه، وأنّ الصّورة الجسميّة جوهر قائم بها، وأنّ الجسم يتولد من هذين الجوهرين، والعقلاء والمحقّقون يعلمون أنّ هذا باطل.

والهيولي[2]عندهم أربعة أقسام: الصناعية، والطباعية، والكليّة، والأولية.

فالصناعية كالدّرهم الذي له مادة وهي الفضة، وصورة وهي الشكل المعيّن، وكذلك الدينار والخاتم والسرير والكرسي ونحو ذلك، وهذا القسم لا نزاع فيه بين العقلاء، ولكن هذه الصورة عرض من أعراض هذا الجسم وصفة له، ليست جوهراً قائماً بنفسه، وهذا أمر معلوم بالضرورة حساً وعقلاً.

وأمّا الطباعية فكصور الحيوان والنبات والمعدن، فإنه أيضاً مخلوقٌ من مادة، كالهواء والماء والتراب، وهذا أيضاً لا نزاع فيه، لكنّ هذه الصورة جوهرٌ قائمٌ بنفسه مستحيل عن تلك المواد، ليست هي صفةً له كالأول.

وإذا تدبر العاقل هذين النوعين علم فساد قول من يجعل الصورة في النوعين جوهراً كما يقوله من يقوله من المتفلسفة، ومن يجعل الصورة في الموضعين صفة وعرَضاً كما يقوله من يقوله من المتكلمة الجسمية.

...ثمّ هذه المادة قد ذكروا عن أفلاطون أنه قال: يمكن انفرادها عن الصّورة، كما يحكون عنه نظير ذلك في المُدة –وهي الدهر– وفي المكان –وهو الخلاء– إنّهما جوهران قائمان خارجان عن أقسام العالم،وفي المُثُل المعلّقة الأفلاطونية المكان والزمان والمادة والصّور قول متشابه، وجمهور العقلاء يعلمون أنّ هذا الذي أثبته في الخارج إنّما هو في الأذهان لا في الأعيان، ومن المعلوم أنّ قول من يقول إنّ هذه المادة المدّعاة أنّها جزء للجسم يمكن تجرّدها عن الصورة شبيه بقول من يقول المعدوم شيءٌ ثابت ثبوتاً مجردا ًليس وجوده،... فإنّ دعوى تركيب الأجسام من المادة والصورة اللذين هما جوهران قائمان بأنفسهما دعوى باطلة كما هو قول أرسطو وذويه، ثم دعوى انفرادها باطل على باطل.

...وعلى هذا فقول القائلين من المعتزلة والمتفلسفة:بأنّ الوجود ماهيّة موجودة في الخارج زائدة على الوجود في الخارج الذي هو الموجود في الخارج، وأنّ الوجود قائم بتلك الماهية؛ هو شبيه بقول من يقول: إنّ الجسم مادّة هي جوهر قائم بنفسه وهو محلّ الصورة الجسمية التي هي أيضاً جوهر.

---

(١)أفلاطون بن أرسطن بن ارسطو قليس، أحد اساطين الفلاسفة، عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، انظر آراءه في الملل والنحل(٢/٤٠٥).

(٢)يعنون به المادة أو الجوهر المتجرد من أيّ صورة جسمانية، انظر معيار العلم للغزالي(ص٢٩٧).

وهؤلاء يعمدون إلى الشيء الواحد المعلوم واحداً بالحسّ والعقل يجعلونه اثنين، إذ كان له وجود عينيّ ووجود ذهنيّ، فظنوا أنّ الذهني خارجيّ، ثم جاء المدعون أنهم محققوهم إلى ما يعلم أنهما متباينان وهو وجود الخالق سبحانه البائن المتميز عن وجود المخلوق فزعموا أنّه هو، وأنّ الوجود واحد لا يتميّز منه وجود الخالق، فقول ابن سبعين يشبه قول ابن عربي من حيث أنّ قوله يشبه قول أهل المادّة والصورة، كما يشبه قول ذلك قول أهل الثبوت والوجود المفرقين بينهما، الذين يقولون: المعدوم شيء»[1].

**المبحث الأول: وصف الله بالتصوير واسمه المصور**

ثبت بنصوص كثيرة في الوحيين أنّ الله تعالى جعل لكل خلق خلقه صورة تميّزه عن غيره، تميّز جنسه ونوعه وعينه كذلك، ووصف نفسه بالتصوير في غير ما آية، قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:٦]، قال العلامة الآلوسي رحمه الله:«التصوير جعل الشيء على صورة لم يكن عليها، والصورة هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف، والْأَرْحامِ جمع رحم وهي معلومة وكأنها أخذت من الرحمة لأنها مما يتراحم بها ويتعاطف، وكلمة فِي متعلقة بـــ (يصور) وجوز أن يكون حالا من المفعول أي يصوركم وأنتم في الأرحام مضغ، وكَيْفَ في موضع نصب بـــ(يشاء) وهو حال، والمفعول محذوف تقديره يشاء تصويركم، وقيل: كَيْفَ ظرف لـــ(يشاء) والجملة في موضع الحال أي يُصَوِّرُكُمْ على مشيئته أي مريداً إن كان الحال من الفاعل أو يصوركم متقلبين على مشيئته تابعين لها في قبول الأحوال المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم، وثم، وفي الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك»[2].

وقال:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[الأعراف:١١] ذكر ابن جرير رحمه الله اختلاف المفسرين في المراد بقوله:﴿ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾هل هو آدم أو بنيه، وبقوله ﴿صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾كذلك، هل هو لبنيه أم له، وإذا كان لبنيه فهل هو في أصلاب الرجال وأرحام الأمّهات أو في صلب آدم وأرحام الأمّهات ثم قال:« وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويله:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ ولقد خلقنا آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾، بتصويرنا آدم، كما قد بينا فيما مضى من خطاب العرب الرجلَ بالأفعال تضيفها إليه، والمعنيُّ في ذلك سلفه، وكما قال جل ثناؤه لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾[البقرة:٦٣] وما

(١) بغية المرتاد ص ٤١٢ ــ ٤١٨، وانظر درء التعارض (٤٦٤/١).

(٢)روح المعاني (٧٧/٢).

أشبه ذلك من الخطاب الموجَّه إلى الحيّ الموجود، والمراد به السلف المعدوم، فكذلك ذلك في قوله:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾معناه: ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صوَّرناه.

وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأنّ الذي يتلو ذلك قوله:﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾، ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم، قبل أن يصوِّر ذريته في بطون أمهاتهم، بل قبل أن يخلُق أمهاتهم»[1].

وأيا كان الصواب من تلك الأقوال فهي تجتمع على وصف الله بالتصوير ونسبته له سبحانه.

وقال:﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[غافر:٦٤]

قال ابن كثير رحمه الله: « أي: فخلقكم في أحسن الأشكال، ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم»[2].

وقال:﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[التغابن:٣]

قال ابن جرير:« ومثلكم فأحسن مثلكم، وقيل: أنه عُنِيَ بذلك تصويره آدم، وخلقه إياه بيده» ثم أسنده عن ابن عباس[3].

وقال القرطبي رحمه الله: «يعني آدم عليه السلام، خلقه بيده كرامة، له، قاله مقاتل، الثاني: جميع الخلائق، وقد مضى معنى التصوير، وأنه التخطيط والتشكيل، فإن قيل: كيف أحسن صورهم ؟ قيل له: جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه صورة بدليل أن الانسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور، ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب، كما قال عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين:٤]»[4].

وقال تعالى :﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار:٨]

قال ابن كثير رحمه الله: «قال مجاهد: في أي شبه أب أو أم أو خال أو عم» وذكر خبراً لا يثبت ثم قال:«ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاما أسود؟ قال: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: فما ألوانها؟ قال: حمر، قال: فهل فيها من أورق؟ قال: نعم، قال: فأنى أتاها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعة عرق، قال:

---

(1)جامع البيان (٣١٨/١٢).

(2)تفسير القرآن العظيم (١٥٦/٧).

(3)جامع البيان (٤١٦/٢٣).

(4)الجامع لأحكام القرآن (٨٨/١٨-٨٩).

وهذا عسى أن يكون نزعة عرق[1]،ثم ذكر قول من قال في قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير،وقال: «ومعنى هذا القول عند هؤلاء: أن الله، عز وجل، قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام، حسن المنظر والهيئة»[2].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله معلقا على آيات التصوير:«وهذا التصوير فيه من غرائب صنع الله وعجائبه ما يبهر العقول؛ لأنكم كلكم أيها الحاضرون طُبعتم على طابع واحد، وصُببتم صبّة واحدة، فالأنف من جميعكم في محل الأنف، والعينان في محل العين، والفم في محل الفم، والأذن في محل الأذن، ولم يشتبه منكم اثنان حتى لا يُعرف أحدهما من الآخر، كل من رآكم يعرف أن هذه صورة فلان، وهذه صورة فلان، ولو جاء من الخلق أعداد ملايين الحصى لم يضق علم خالق السماوات والأرض حتى يعلم لكل واحد منهم صورة فيطبعه عليها لا تشابه صورة الآخر، ولم تتشابه أصواتكم ولا آثاركم في الأرض، ولا بصماتكم في الورق، كل واحد طُبع على طابع مستقل، لم يشاركه فيه غيره، ولم يشابهه غيره، وهذا يدل على كمال العلم والقدرة الباهرة العظيمة التي يجب على الإنسان أن يعلم عظمة المتصف بها ويطيعه ولا يتمرد عليه»[3].

وسمّى نفسه باسم الصفة فهو المصوّر سبحانه كما قال:﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[الحشر:٢٤]، قال ابن كثير:«الخلق: التقدير، والبراء: هو الفري، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله، عز وجل. قال الشاعر يمدح آخر:

ولأنت تفري ما خلقت... وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

أي: أنت تنفذ ما خلقت، أي: قدرت، بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع ما يريد، فالخلق: التقدير، والفري: التنفيذ، ومنه يقال: قدر الجلاد ثم فرى، أي: قطع على ما قدره بحسب ما يريده.

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾أي: الذي إذا أراد شيئا قال له: كن، فيكون على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار، كقوله: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار:٨]، ولهذا قال: ﴿ٱلۡمُصَوِّرُ﴾أي: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها»[4].

---

(١)أخرجه البخاري (ح٥٣٠٥)، ومسلم (ح١٥٠٠).

(٢)تفسير القرآن العظيم (٣٤٣/٨).

(٣)العذب النمير (١٠٧/٣).

(٤)تفسير القرآن العظيم (٨٠/٨).

قال الحليمي:«معناه: المهيئ لمناظر الأشياء على ما أراده من تشابه أو تخالف، والاعتراف بالإبداع يقتضي الاعتراف بما هو من لواحقه»[1]،وقال الخطابي:«المصور الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها، ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل، وخلق الله عز وجل الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خلق يعرف بها ويتميز عن غيره بسمتها، جعله علقة، ثم مضغة، ثم جعله صورة، وهو التشكيل الذي يكون به ذا صورة وهيئة»[2].

فالمصوّر اسمه تعالى المتضمّن صفة التصوير اللائقة به سبحانه، وهذه هي طريقة السلف في سائر أسماء الله تعالى، وهي إثابتها وإثبات الصفات الّتي دلت عليها.

والتصوير فعله تعالى القائم بذاته المتعلّق بمشيئته سبحانه، وقد علّقه بها في قوله:﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار:٨].

بل التصوير من الصفات الدّالة على المشيئة والإرادة، ذلك أنّ الله تعالى نوّع في الصور وجعل لكل مخلوق صورته النوعية والجنسية كذلك، ثم ذكر أنّ هذا من آياته كما قال:﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم:٢٢]وذلك لأنّ الاختلاف فيه تخصيص، والتخصيص يدل على أنّه فاعلٌ بالمشيئة والاختيار[3]وليس بذاته بدون صفات قائمة بها كما يقوله المعتزلة[4]، ولا بكونه علة تامّة ينتج عنها معلولها لزوماً، كما يقول الفلاسفة [5].

**المبحث الثاني:إثبات الصورة لله**

ثبت في السنّة أنّ لله تعالى صورة، كما أنّ لكلّ موجود صورة، والله تعالى أجل من أن يدرك المخلوق صورته فصورته بلا شكّ لائقة بذاته العليّة، وعلى هذا درج السلّف الصالح كما هم في سائر ما أخبر الله به عن نفسه أو أخبر به رسوله ﷺ عن ربّه، لكنّ المعطلة فهموا من إثبات الصورة التشبيه والتجسيم فنفوا أن تكون له تعالى صورة فردّوا على الله وعلى رسوله ﷺ.

وقد صحّ عن أبي هريرة قال: قال أناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال:«هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، يا رسول الله، قال: هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا، يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه

---

(1)الأسماء والصفات للبيهقي (٧٩/١).

(2)السابق .

(3)مجموع الفتاوى (١٨/٣-١٩).

(4) انظر الانتصار للعمراني (٢٤٧/١) والصواعق المرسلة (٧٢٨/٢).

(5) درء تعارض العقل والنقل (٧٩/٥).

يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربّنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربّنا..» الحديث بطوله[1].

والحديث في الصحيحين وقد رواه كل أئمة السنة بلا تردد، وأثبتوا ما دلّ عليه من إثبات الصورة لله، والمقصود إثبات صورة وجهه تعالى، هكذا فسره ابن خزيمة في قوله:«باب ذكر صورة ربنا» ثم ساق النصوص والاحتجاج بها على إثبات صفة الوجه له سبحانه [2]،وفي حديث ابن مقرن:«أما علمت أن الصورة محرمة» [3] أراد بالصورة الوجه[4].

قال ابن تيمية:«والحديث مستفيض بل متواتر عن النبي وهو حديث طويل فيه قواعد من أمور الإيمان بالله وباليوم الآخر أخرجاه في الصحيحين من غير وجه من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد عن أبي هريرة وأبي سعيد، وأخرجاه أيضا من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد ورواه مسلم عن جابر موقوفا كالمرفوع وهو معروف من حديث ابن مسعود وغيره»[5].

قال الدارمي في نقضه على المريسي[6] حين شكّك في متن الرواية: «إن هذا ليس بشك وارتياب منهم، ولو أن الله تجلى لهم أول مرة في صورته التي عرفهم صفاتهم في الدنيا لاعترفوا بما عرفوا، ولم ينفروا، ولكنه يري نفسه في أعينهم، لقدرته ولطف ربوبيته في صورة غير من عرفهم الله صفاتهم في الدنيا، ليمتحن بذلك إيمانهم ثانية في الآخرة، كما امتحن في الدنيا ليثبتهم أنهم لا يعترفون بالعبودية في الدنيا والآخرة إلا للمعبود الذي عرفوه في الدنيا بصفاته، التي أخبرهم بها في كتابه، واستشعرتها قلوبهم حتى ماتوا على ذلك، فإذا مثل في أعينهم غير ما عرفوا من الصفة نفروا وأنكروا، إيمانا منهم بصفة ربوبيته التي امتحن قلوبهم في الدنيا، فلما رأى أنهم لا يعرفون إلا التي امتحن الله قلوبهم تجلى لهم في الصورة التي عرفهم في الدنيا فآمنوا به وصدقوا، وماتوا، وبشروا عليه، من غير أن يتحول

---

(1)أخرجه البخاري (ح٦٥٧٣)، ومسلم (ح١٨٢).

(2)التوحيد (٤٥/١).

(3)أخرجه مسلم (ح ١٦٥٨).

(4)إكمال المعلم (٤٢٩/٥).

(5)بغية المرتاد (٤٥١/١).

(6)بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي – بفتح الميم وكسر الراء – المبتدع الضال، من رؤوس الاعتزال، توفي سنة(٢١٨هـ)، السير(١٩٩/١٠).

الله من صورة إلى صورة، ولكن يمثل ذلك في أعينهم بقدرته فليس هذا أيها المريسي بشك منهم في معبودهم، بل هو زيادة يقين وإيمان به مرتين، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "أنه قال لهم يوم القيامة: أتعرفون ربكم؟ فيقولون: إنه إذا اعترف لنا عرفناه" يقولون: لا نقر بالربوبية إلا لمن استشعرته قلوبنا، بصفاته التي أنبأنا بها في الدنيا، فحينئذ يتجلى لهم في صورته المعروفة عندهم، فيزدادون عند رؤيته إيمانا ويقينا، وبربوبيته، اغتباطا وطمأنينة»[١].

وقال ابن تيمية:«ثبوت الوجه والصورة لله قد جاء في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة المتواترة واتفق على ذلك سلف الأمة وسيأتي إن شاء الله تعالى طائفة من النصوص التي فيها إثبات صورة الله تعالى كقوله فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون ونحو ذلك مما هو من الأحاديث التي اتفق العلماء على صحتها وثبوتها فأما لفظ الوجه فلا يمكن استقصاء النصوص المثبتة له»[٢].

و قد ساق رحمه الله الحديث برواياته المختلفة وألفاظه المتعددة وقال: «علم بالاضطرار أن الذي يأتيهم في هذه الصورة هو رب العالمين نفسه، لا ملك من الملائكة، ولا مجرد بعض آياته، ومن صرف مثل هذه الأحاديث وهذه الألفاظ الصريحة المنصوصة إلى مَلك من الملائكة أو مجيء شيء من عذاب الله أو إحسان الله فإنه مع جحده لما يعلم بالاضطرار من هذه الألفاظ قد فتح من باب القرمطة وتحريف الكلم عن مواضعه ما لا يمكن سدُّه، إذ لا يمكن بيان المخبر عنه بأعظم من هذا البيان التَّام، فمن جعل هذا محتملاً لم يمكن قط أن يخبر أحدٌ أحدًا بشيء من الألفاظ المبينة لمراده قطعًا، وهذا كله من أعظم السفسطة وجحد الحسيَّات والضروريات التي لا يستحقُّ جاحدها مناظرة، ولهذا كان السلف ينهون عن مجادلة أمثال هؤلاء»[٣].

قال ابن قتيبة:« والذي عندي والله تعالى أعلم أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد قالوا حديث في التشبيه»[٤].

---

(١)نقض الدارمي على المريسي (٣٨٧/١-٣٨٨).

(٢)بيان تلبيس الجهمية (٥٢٦/٦).

(٣)بيان تلبيس الجهمية (٧٦/٧).

(٤)تأويل مختلف الحديث (ص٣٢٢).

وحديث أبي هريرة وغيره من نصوص رؤية الله عز وجلّ في الآخرة تثبت الصورة له سبحانه ضرورة، إذ الرؤية لا تكون إلاّ لموجود، وما من موجود إلاّ له صورة، وإلاّ استحالت رؤيته[1].

ومما يتعلق بالبحث أنّ أهل السنة وإن أطبقت كلمتهم على إثبات الصورة لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه، وأنّ الله يتجلى لخلقه يوم القيامة ينظرون إليها ويمكّنهم من ذلك، كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٣]، فعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيّض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»[2]والمقصود إلى وجهه كما في بغض ألفاظه[3].

وفي دعائه ﷺ:«وأسألك نعيما لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ولذة العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك»[4].

والمقصود أنّ أهل السنة يثبتون رؤية صورته ﷺ في القيامة لأهل الإيمان خاصة لكن بلا إحاطة، لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[الأنعام:١٠٣]، فالله تعالى أعلى وأعظم وأجلّ من أن يحيط به بصر المخلوق أو علمه، قال ابن أبي العز رحمه الله:«المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّا﴾ [الشعراء:٦١]، فلم ينف موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يُرَى ولا يُدْرَك، كما يُعلم ولا يُحاط به علماً، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه»[5].

---

(1)انظر الانتصار للعمراني (٦٤٧/٢) والفتاوى الكبرى (٣٦٥/٦).

(2)أخرجه مسلم (ح١٨١).

(3)الرد على الجهمية للدرامي (ح١٧٥).

(4)أخرجه النسائي (ح١٣٠٥) وصححه الحاكم في المستدرك (٥٢٤/١) ووافقه الذهبي ، وله شاهد عن فضالة بن عبيد أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (ح٤٢٧) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله، وشاهد آخر عن زيد أخرجه أحمد (١٨٣٥١) و الطبراني في الكبير (ح ٤٩٣٢)، من طريقين عن ضمرة بن حبيب، وفيها ضعف.

(5)شرح العقيدة الطحاوية (ص١٨٨).

**المبحث الثالث: خلق الله آدم على صورته**

هذا المبحث فرع عن السّابق، فأهل السنة مجمعون كما سبق على إثبات الصورة لله تعالى، ومن النصوص الّتي احتجوا بها حديث خلق آدم على صورته، وقد جاء بألفاظ متعددة، غير أنّ بعض أهل السنة مع إثباتهم الصورة له تعالى، قد أنكروا ما دلّ عليه هذا الحديث من أنّ الله خلق آدم على صورته تعالى، وتوهموا أنّ ذلك يلزم منه المماثلة، ومن أجلّهم قدراً إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله[١] ووافقه ابن مندة [٢]وابن حبان [٣]ومن المعاصرين الشيخ الألباني [٤] رحمهم الله جميعاً.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:« إذا ضرب أحدكم فليتجنّب الوجه (في رواية: إذا ضربتم فاجتنبوا الوجه) (وفي رواية أخرى: لا تقبّحوا الوجه)، (وفي رواية ثالثة: لا تقل قبّح الله وجهك، ولا وجه من أشبه وجهك )، فإنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته»[٥].

وعنه رضي الله عنه كذلك قال: قال رسول الله ﷺ: « "خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً»[٦].

---

(١)محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر، الحافظ الحجة الفقيه، شيخ الاسلام، إمام الائمة، أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف ومنها التوحيد، وكتابه الصحيح، قال الذهبي: « ولابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب لعلمه ودينه، واتباعه السنة، وكتابه في " التوحيد " مجلد كبير، وقد تأول في ذلك حديث الصورة» توفي سنة (٣١١ه)، السير (٣٦٥/١٤).

(٢)الامام الحافظ الجوال، محدث الإسلام، أبو عبد الله، محمد بن المحدث أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن منده– واسم مندة إبراهيم –ابن الوليد ، العبدي الاصبهاني الحافظ، صاحب التصانيف، ومنها الإيمان، والتوحيد، توفي سنة (٣٩٥ه)، السير (٢٨/١٧).

(٣)الإمام العلاّمة الحافظ المجوّد شيخ خراسان أبو حاتم محمّد بن حبّان بن أحمد بن حبّان التّميمي الدّارمي البُستي، كان من فقهاء الدّين وحفّاظ الآثار عالماً بالطّبّ والنّجوم وفنون العلم صنّف المسند الصّحيح وكتاب التّاريخ والضّعفاء، قال الحاكم: كان ابنحبّان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرّجال، توفّي سنة (٣٥٤ه)، السّير (١٦/ ٩٢).

(٤)

(٥)أخرجه البخاري في الفتن (ح٢٥٥٩)، ومسلم في (ح٢٦١٢) بلفظ: »إذا قاتل أحدكم أخاه، فليتجنب الوجه« زاد مسلم في رواية: » فإن الله خلق آدم على صورته«، والروايات الأخرى ثابتة في الحديث أخرجها عبدالرزاق في المصنف (١٧٩٥٢) وأحمد في المسند (٢٥١/٢) و (٤٣٤/٢)، والحميدي في مسنده (ح١١٢٠و١١٢١) وابن حبان في الصحيح (ح٥٧١٠)، وابن أبي عاصم في السنة (ح٥١٩)، وابن خزيمة في التوحيد (ح٣٥)، وعبدالله بن أحمد في السنة (ح٤٩٦و١٠٢٥و١٢٤٣)، وابن منده في التوحيد (ح٨١)، وابن بطة في الكبرى–تتمة الرد على الجهمية– (ح١٨٦و١٨٨)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (ح٧١٥) وغيرهم، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني – رحمَه الله – (ح٨٦٢).

(٦)الشيخ العلامة المحدث ناصر الدين محمد بن نوح نجاتي الأرناؤوط الألباني، صاحب التصانيف العديدة في الحديث من أشهرها سلسلتي الأحاديث الصحيحة والضعيفة، وإرواء الغليل، وصحيح وضعيف الجامع وصحيح السنن الأربعة، وغيرها، ترجمه محمد بن إبراهيم الشيباني في مجلدين بعنوان (حياة الألباني وآثاره)، توفي سنة (١٤٢٠ه).

قال ابن تيمية: « هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك»[١].

وقد جاء ذلك في أحاديث أخرى صراحة، من ذلك ما رواه الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:«لا تقبّحوا الوجه، فإنّ ابن آدم خُلِق على صورة الرحمن جلّ وعزّ»[٢]، وقد احتج به أحمد وفسر به حديث أبي هريرة، فعن أبي بكر المروذي، قال: قلت لأبي عبد الله: « كيف تقول في حديث النبي ﷺ: « خلق الله آدم على صورته ؟ » قال: أما الأعمش فيقول: عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ:« إن الله عز وجل خلق آدم على صورة الرحمن» فنقول كما جاء الحديث[٣].

ورواه ابن لهيعة، عن أبي يونس، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺقال: « إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإنما صورة الإنسان على صورة الرحمن جل اسمه »[٤].

وقيل للإمام أحمد: « ينزل ربنا تبارك وتعالى كلّ ليلة، حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا » أليس تقول بهذه الأحاديث ؟ و«يراه أهل الجنّة، يعني ربهم عزّ وجلّ» و«لا تقبحوا الوجه فإن الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته» و «اشتكت النّار إلى ربها تعالى حتى وضع فيها قدمه » و « إنّ موسى لطم ملك الموت »، قال أحمد: « كلّ هذا صحيح»، قال إسحاق بن راهويه: « هذا صحيح، ولا يدفعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي»[٥].

---

(١)بيان تلبيس الجهمية (٣٧٣/٦).

(٢)أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة (ح٤٩٨و١٠٧٦)، وابن أبي عاصم في السنة (ح٥١٧و٥١٨)، وابن خزيمة في التوحيد (ح٤٧)، والدارقطني في الصفات (ح٤٥)، والطبراني في الكبير (ح١٣٥٨٠)، والحاكم في المستدرك (٣١٩/٢)، وابن بطة في الكبرى-تتمة الرد على الجهمية- (ح١٨٥و١٩٠و١٩٣) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (ح٧١٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٣٧١)، وهذا الخبر من الأخبار الّتي وقع خلاف في ثبوتها، فقد طعن في صحّته كلّ من ابن خزيمة في كتابه التوحيد، والبيهقي، وتابعهما الشّيخ الألباني – رحِمَه الله – كما في الضّعيفة (ح١١٧٦)، ومدار كلامهم على تدليس الأعمش وحبيب بن أبي ثابت وبمخالفة الثوري للأعمش حيث رواه مرسلاً عن عطاء لم يذكر فيه ابن عمر، وأضاف له الشيخ الألباني علة رابعة وأضاف الشيخ الوليد بن محمد بن نبيه سيف النصر علّة خامسة في تحقيقه ( تتمة الرد على الجهمية)لابن بطة في بحث نفيس، ونُقل تصحيحه عن إسحاق بن راهويه وأحمد ابن حنبل وغيرهم من أئمّة السلف، وسواء قلنا بصحة هذه اللفظة من عدمها فإنّ معناها هو أولى ما يُفسّر به النصّ، والله أعلم.

(٣)أخرجه ابن بطة في تتمة الرد على الجهمية (١٩٦/٧) من الإبانة.

(٤)أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (ح٥٢١) والدارقطني في الصفات (ح٤٩)، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، ومخالفته للحفاظ في سياق لفظ الحديث.

(٥)أخرجه الآجري في الشريعة (ح٦٩٧) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٤٥/٧و٤٦و١٦٠و١٩٧و٢٥٨) وهو صحيح.

فالجهمية والأشاعرة معهم في هذا تتكر هذه المسألة، ووقع في الإنكار كما قلنا بعض أهل السنة، وبعض شراح الحديث من الاشاعرة قد تأولوها بوجوه عدة، فمنهم من أعاد الضمير على المضروب، أو من قيل له قبح الله وجهك، ومنهم من أعاده على آدم، والمعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالا ولا تردد في الأرحام أطوارا كذريته بل خلقه الله رجلا كاملا سويا من أول ما نفخ فيه الروح، ثم عقب ذلك بقوله: "وطوله ستون ذراعا" فعاد الضمير أيضا على آدم، وقيل معنى قوله: "على صورته": أي لم يشاركه في خلقه أحد، إبطالا لقول أهل الطبائع، وخص بالذكر تنبيها بالأعلى على الأدنى[١]، وقال بعضهم: إنّ المراد على صورة خلقها الله فهي إضافة تشريف كقوله: {ناقة الله}و {بيت الله}[٢].

قال المازري[٣]:«هذا الحديث بهذا اللفظ ثابت ورواه بعضهم ان الله خلق آدم على صورة الرحمن وليس بثابت عند اهل الحديث وكأن من نقله رواه بالمعنى الذي وقع له وغلط في ذلك قال المازري وقد غلط بن قتيبة في هذا الحديث فأجراه على ظاهره وقال لله تعالى صورة لا كالصور وهذا الذي قاله ظاهر الفساد لأن الصورة تفيد التركيب وكل مركب محدث والله تعالى ليس بمحدث فليس هو مركبا فليس مصورا قال وهذا كقول المجسّمة[٤] جسم لا كالأجسام لما رأوا اهل السنة يقولون الباري سبحانه وتعالى شيء لا كالأشياء، طردوا الاستعمال فقالوا: جسم لا كالأجسام، والفرق أن لفظ شيء لا يفيد الحدوث ولا يتضمن ما يقتضيه وأما جسم وصورة فيتضمنان التأليف والتركيب وذلك دليل الحدوث،والعجب من بن قتيبة في قوله: صورة لا كالصور مع أن ظاهر الحديث على رأيه يقتضي خلق آدم على صورته فالصورتان على رأيه سواء، فاذا قال: لا كالصور، تناقض قولُه، ويقال له أيضاً: إن أردت بقولك صورة لا كالصور أنه ليس بمؤلف ولا مركب فليس بصورة حقيقة، وليست اللفظة على ظاهرها وحينئذ يكون موافقاً على افتقاره إلى التأويل»[٥].

---

(١)فتح الباري (٢٤٦/١٩).

(٢)إكمال المعلم (٩٠/٨).

(٣)الشيخ العلامة البحر المتفنن، أبو عبد الله، محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي، مصنف كتاب " المعلم بفوائد شرح مسلم " له تواليف في الأدب، وكان أحد الاذكياء، الموصوفين والائمة المتبحرين، توفي سنة (٥٣٦ه)، السير (١٠٤/٢٠).

(٤)يقصد بأهل السنة أصحابه الأشاعرة، ويقصد بالمجسمة أهل السنة الحقيقيين أتباع السلف الصالح كعادة أهل الأهواء في نبز أهل السنة بألقاب الحشو والتجسيم والتشبيه، ولم يقل أحد من السلف إنّ الله جسم، بل قالوا إنّه لم يرد نفي ولا إثبات للجسمية، والواجب الاستفصال، انظر مجموع الفتاوى (٥ / ٢١٣ ـــ ٢٢٥).

(٥)إكمال المعلم (٨٨/٨).

والواضح أن المازري ومن يوافقه موقفهم من الحديث ليس كموقف ابن خزيمة وابن مندة وأهل السنة الّذين توقفوا في دلالته لأنّ الأولين يصدرون عن إنكارهم للصورة أصلاً، فهم ينكرون أن يكون له تعالى صورة لأنّ ذلك في توهمهم يلزم منه التشبيه والتركيب والجسمية [1].

وأمّا الحافظ بن حجر رحمه الله فقال:« الزيادة[2] أخرجها ابن أبي عاصم في "السنة" والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات، وأخرجها ابن أبي عاصم أيضا من طريق أبي يونس عن أبي هريرة بلفظ يردّ التأويل الأول قال: «من قاتل فليجتنب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن» [3] فتعين إجراء ما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنة من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه، أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جل جلاله»[4].

وكلام غالب شراح الحديث يدور حول ما ذكره المازري، ونقله عنه من بعده، وهذا يدل على خطورة المتأثرين بالأشعرية على السنة إذ غالب شروح السنة تسلط عليها هؤلاء بين مستقل ومستكثر، وبعضهم فضلاء من أجلة أهل الحديث لكن لم تسلم مشاربهم من قذى البدع والتأويل الفاسد الذي ساد في أزمنتهم وبسبب غربة السنة وأهلها، وإلاّ فكما قال ابن قتيبة، فإثبات الصورة لله ليس بأعجب من إثبات سائر الصفات كالوجه واليد والنزول وغيره والباب فيها واحد.

وأمّا حديث خلق آدم على صورته فكما قال ابن تيمية لم يختلف فيه أهل القرون الثلاثة الأولى ولا أئمة السّلف، فإنّ عود الضمير فيه إلى الله يدل عليه حديث أبي هريرة بروايته المتعددة قطعا، دون الحاجة إلى حديث ابن عمر الذي يضعفه ابن خزيمة ومن معه ويصححه أئمّة هذا الشأن كأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه كما تقدّم، قال ابن تيمية ردا على احتجاج من احتج بتضعيف ابن خزيمة لرواية ابن عمر: «قد صححه إسحاق بن راهوية وأحمد ابن حنبل وهما أجل من ابن خزيمة باتفاق الناس وأيضاً فمن المعلوم أن عطاء ابن أبي رباح إذا أرسل هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فلابد أن يكون قد سمعه من أحد وإذا كان في إحدى الطريقين قد بين أنه أخذه عن ابن عمر كان هذا بياناً وتفسيراً لما تركه وحذفه من الطريق الأخرى ولم يكن هذا اختلافاً أصلاً وأيضاً فلو قدر لأن عطاء لم يذكره إلا مرسلاً

---

(1)السابق (٨/٨٧).

(2)يقصد قوله: «صورة الرحمن».

(٣)السنة (ح ٤٢١)، وانظر الضعيفة للألباني (ح ١١٧٥).

(4)فتح الباري (٥/١٨٣).

عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن المعلوم أن عطاء من أجلِّ التابعين قدراً فإنه هو وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي والحسن البصري أئمة التابعين في زمانهم وقد ذكر المصنف لهذا الحديث كابن خزيمة أن الأخبار في مثل هذا الجنس الذي توجب العلم هي أعظم من الأخبار التي توجب العمل ومعلوم أن مثل عطاء لو أفتى في مسألة فقه بموجب خبر أرسله لكان ذلك يقتضي ثبوته عنده ولهذا يجعل الفقهاء احتجاج المرسل بالخبر الذي أرسله دليلاً على ثبوته عنده فإذا كان عطاء قد جزم بهذا الخبر العلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذا الباب العظيم أي ستجيز ذلك من غير أن يكون ثابتاً عنده أن يكون قد سمعه من مجهول لا يعرف أو كذاب أو سيئ الحفظ وأيضاً فاتفاق السلف على رواية هذا الخبر ونحوه مثل عطاء بن أبي رباح وحبيب بن أبي ثابت والأعمش والثوري وأصحابهم من غير نكير سمع من أحد لمثل ذلك في ذلك العصر مع أن هذه الروايات المتنوعة في مظنة الاشتهار دليل على أن علماء الأمة لم تنكر إطلاق القول بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن بل كانوا متفقين على إطلاق مثل هذا وكراهة بعضهم لرواية ذلك في بعض الأوقات له نظائر فإن الشيء قد يمنع سماعه لبعض الجهال وإن كان متفقاً عليه بين علماء المسلمين وأيضاً فإن الله قد وصف هذه الأمة بأنها خير أمة أخرجت للناس وأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فمن الممتنع أن يكون في عصر التابعين يتكلم أئمة ذلك العصر بما هو كفر وضلال ولا ينكر عليهم أحد فلو كان قوله خلق آدم على صورة الرحمن باطلاً لكانوا كذلك وأيضاً فقد روي بهذا اللفظ من طريق أبي هريرة والحديث المروي من طريقين مختلفين لم يتواطأ رواتهما يؤيد أحدهما الآخر ويستشهد له ويعتبر به بل قد يفيد ذلك العلم إذ الخوف في الرواية من تعمد الكذب أو من سوء الحفظ فإذا كان الرواة ممن يعلم أنهم لا يتعمدون الكذب أو كان الحديث ممن لا يتواطأ في العادة على اتفاق الكذب على لفظه لم يبق إلا سوء الحفظ فإذا كان قد حفظ كل منهما مثل ما حفظ الآخر كان ذلك دليلاً على أنه محفوظ لاسيما إذا كان ممن جرب بأنه لا ينسى لما فيه من تحرِّيه اللفظ والمعنى ولهذا يحتج من منع المرسل به إذا روي من وجه آخر ولهذا يجعل الترمذي وغيره الحديث الحسن ما روي من وجهين ولم يكن في طريقه متهم بالكذب ولا كان مخالفاً للأخبار المشهورة وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم الآية فمعلوم مع هذا أن ابن عباس لا يكون مستنداً فيما يذكره من صفات الرب أنه يأخذ ذلك عن أهل الكتاب فلم يبق إلا أن يكون أخذ من الصحابة الذين أخذوه من النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الوجوه كلها مع أنها مبطلة لقول من يعيد الضمير في قوله

على آدم فهي أدلة مستقلة في الإخبار بأن الله تعالى خلق آدم على صورة نفسه وبهذا حصل الجواب عما يذكر من كون الأعمش مدلساً حيث يقدم على رواية مثل هذا الحديث ويتلقاه عنه العلماء ويوافقه الثوري والعلماء على روايته عن ذلك الشيخ بعينه وكذلك قوله حبيب مدلس فقد أخذه عنه هؤلاء الأئمة»[1].

وقد توسع ابن تيمية رحمه الله في إثبات أنّ الحديث على ظاهره وبيان أنّه لا يدل على تمثيل ولا تشبيه، وأبطل كل التأويلات الّتي فرضها اهل الأهواء –ومن تأثر بهم– للحديث بما لا مزيد عليه[2].

وقد صحّ من حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال:«أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر»[3]، ولا يقول عاقل إنّ هذا يلزم منه أن تكون صـــورهم مماثلة لصورة القمر.

(1)تلبيس الجهمية (٦/٤٤٣-٤٥١).

(2)السابق (٦/٣٥٠) وما بعدها في قرابة مجلد.

(3)أخرجه البخاري (ح ٣٢٥٤) ومسلم (٢٨٣٤).

**الفصل الثاني: مسائل في توحيد العبادة**

**وفيه مباحث:**

**المبحث الأول: التصوير**

التوحيد في أُسّه وأساسه قائم على تعظيم الله وتنزيهه، كما يشير إليه قوله تعالى:﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[الزمر:٦٧]، لأنّ الشرك بالله إنّما كان أكبر الكبائر وأعظم الجرائم لأنّه فيه انتقاص لهذا التعظيم، بتشبيهه تعالى بالخلق، كما قال:﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾[الأنعام:١].

وكما أنّ تشبيه الخالق بالخلق فيه نسبة النقص إليه تعالى، فإنّ تشبه الخلق بالخالق فيه منازعة له تعالى في خصائصه، ولهذا كانت هذه الأعمال والأقوال التي تتازع الله في خصائص الربوبية من أعظم الكبائر عند الله، فمن ذلك قوله ﷺ فيما يحكي عن ربه: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»(١).

ومن هذا الباب جاء النهي الشديد عن التصوير، وتعليل ذلك بأنّه مضاهاة للخالق تبارك وتعالى، عن أبي زرعة قال دخلت مع أبي هريرة في دار مروان فرأى فيها تصاوير فقال: سمعت رسول الله ﷺيقول:« قال الله عز وجلّ: ومَن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي ؟ فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة»(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺيقول:«إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون»(٣).

قال ابن حجر رحمه الله: «وقد استشكل كون المصور أشد الناس عذاباً مع قوله تعالى: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[غافر:٤٦]فإنه يقتضي أن يكون المصور أشد عذابا من آل فرعون، وأجاب الطبري بأن المراد هنا من يصور ما يعبد من دون الله وهو عارف بذلك قاصداً له فإنه يكفر بذلك، فلا يبعد أن يدخل مدخل آل فرعون وأما من لا يقصد ذلك فإنه يكون عاصيا بتصويره فقط، وأجاب غيره بأن الرواية بإثبات "من" ثابتة وبحذفها محمولة عليها، وإذا كان من يفعل التصوير من أشدّ الناس عذاباً كان مشتركاً مع غيره، وليس في

(١)أخرجه أحمد في المسند (٢/٢٤٨و٢٧٦و٤١٤و٤٢٧و٤٤٢) وابو داود (ح٤٠٩٠) وابن ماجه (ح ٤١٧٤) وغيرهم من طرق عن عطاء بن السائب، عن سلمان الأغر، عن أبي هريرة مرفوعاً، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (ح ٥٤١).

(٢)أخرجه البخاري (ح٥٩٥٣) ومسلم (ح٢١١١).

(٣)أخرجه البخاري (ح٥٩٥٠) ومسلم (ح٢١٠٩)..

الآية ما يقتضي اختصاص آل فرعون بأشد العذاب بل هم في العذاب الأشدّ، فكذلك غيرهم يجوز أن يكون في العذاب الأشد»[١].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺقال:«إنّ الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها: أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله صلى الله عليه و سلم قام على الباب فلم يدخل فعرفت أو فعرفت في وجهه الكراهية فقالت يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله فماذا أذنبت؟ فقال رسول الله ﷺ: ما بال هذه النمرقة[٣]؟ فقالت: اشتريتها لك تقعد عليها وتوسدها، فقال رسول الله ﷺ:«إن أصحاب هذه الصور يعذبون ويقال لهم أحيوا ما خلقتم»[٤]قال ابن حجر رحمه الله:«قال ابن بطال: قوله في حديث عائشة وغيره: "يقال لهم أحيوا ما خلقتم "إنما نسب خلقها إليهم تقريعا لهم بمضاهاتهم الله تعالى في خلقه فبكتهم بأن قال إذا شابهتم بما صورتم مخلوقات الله تعالى فأحيوها كما أحيا هو ما خلق»[٥].

والمقصود بهذا الوعيد تصوير ذوات الأرواح، فعن سعيد بن أبي الحسن قال كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما إذ أتاه رجل فقال يا أبا عباس إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي وإني أصنع هذه التصاوير، فقال ابن عباس: لا أحدثك إلا ما سمعت رسول الله ﷺيقول:«سمعته يقول من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً» فربا الرجل ربوة شديدة واصفر وجهه فقال: ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر كل شيء ليس فيه روح[٦]، قال ابن حجر:«ثبت في رواية مسلم والإسماعيلي بلفظ: "فاصنع الشجر وما لا نفس له" ولأبي نعيم من طريق هوذة عن عوف: "فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح" بإثبات واو العطف، وقال الطيبي قوله: "كل شيء" هو بيان للشجر، لأنه لما منعه عن التصوير وأرشده إلى الشجر كان غير وافٍ بمقصوده، ولأنه قصد كل ما لا روح فيه ولم يقصد خصوص الشجر»[٧].

---

(١)فتح الباري (٣٨٣/١٠).

(٢)أخرجه البخاري (ح٥٩٥١) ومسلم (ح٢١٠٨).

(٣)قال ابن الأثير في النهاية (٢٥٠/٥) : «أي وِسادة وهي بضم النون والراء وبكسرهما وبغير هاءٍ وجمعُها : نَمارِقُ».

(٤)أخرجه البخاري (ح٢١٠٥) ومسلم (ح٢١٠٧).

(٥)الفتح (٥٣٥/١٣).

(٦)أخرجه البخاري (ح٢٢٢٥) ومسلم (ح٢١١٠).

(٧)الفتح (٤١٧/٤).

وليس كل ذي الروح يحرم تصويره، وإنّما الرأس خاصة، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:« أتاني جبريل فقال إني كنت أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت عليك البيت الذي كنت فيه إلا أنه كان في باب البيت تمثال الرجال، وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل، وكان في البيت كلب، فمُر برأس التمثال الذي بالباب فليقطع فليصير كهيئة الشجرة ومر بالستر فليقطع ويجعل منه وسادتين منتبذتين يوطآن، ومر بالكلب فيخرج، ففعل رسول الله ﷺوكان ذلك الكلب جرواً للحسن أو الحسين تحت نضد له فأر به فأخرج»[1].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولهذا يفرق في هذا التصوير بين الحيوان و غير الحيوان، فيجوز تصوير صورة الشجر و المعادن في الثياب و الحيطان و نحو ذلك، لأنّ النبيّﷺقال:«مَن صوّر صورة كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ» و لهذا قال ابن عباس للمستفتي الذي استفتاه صوّر الشجر و ما لا روح فيه، وفي السنن عن النبيﷺأن جبريل قال له في الصورة: «مُر بالرأس فليقطع» و لهذا نص الأئمة على ذلك، وقالوا:الصورة هي الرأس، لا يبقى فيها روح فيبقى مثل الجمادات»[2].

وقد صحّ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:«الصورة الرأس فإذا قطع الرأس فليس بصورة»[3].

وهذه النصوص كلّها تدلّ على تحريم فعل التصوير، وأنّه من أكبر الكبائر الموجبة لدخول النار والعذاب الشديد فيها، وإنّما ذلك لعلة المضاهاة بخلق الله أي في فعله الذي هو التصوير، وقال بعضهم إنّ علة ذلك أنه ذريعة للشرك واتخاذ التصاوير وتعظيمها سبب لذلك.

ولا يختلف الحكم فيما إذا كان التصوير لصورة مجسمة ذات ظل أو كانت صورة في ورق أو غيره مما لا ظل له ففي كلّ ذلك تظهر المضاهاة وتتحقق العلة إذا كان باليد.

وقد اختلف الفقهاء بعد ذلك في مسائل فرعية على هذا بعد اتفاقهم على المنع من التصوير لهذه العلل الشركيّة، كخلافهم في استثناء الصورة الممتهنة أو لعب الأطفال ونحوها، واختلافهم كذلك في إلحاق التصوير الفوتوغرافي والتصوير التلفازي بالتصوير باليد في حكم التحريم أو لا [4].

---

([1])أخرجه أحمد (ح ٨٠٣٢) وأبوداود (ح ٤١٥٨) والترمذي (ح٢٨٠٦) وقال: حسن صحيح.

([2])مجموع الفتاوى (٣٧٠/٢٩).

(٣)أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٤٣٥٧) موقوفاً عليه، ورفعه بعضهم وصححه الألباني كما في الصحيحة (ح ١٩٢١).

([4])انظر ذلك بتفصيل في الموسوعة الفقهية الكويتية (٩٢/١٢) ومات بعد.

**المبحث الثاني: اتخاذ الصور**

عرفنا في المبحث السابق ما ورد بشأن فعل التصوير وما فيه من الوعيد الشديد، وفي هذا المبحث نتحدث عن مخرج التصوير، ألا وهو الصورة، فإنّ هناك فرقاً بين التصوير كفعل، وبين التعامل مع الصورة، ولهذا جاءت نصوص خاصة في حكم الصورة والتعامل معها حتى لو لم يكن المتخذ لها هو الذي صورها.

وقد صحّ أنّ الملائكة لا تدخل البيت الذي فيه صورة، فمن ذلك حديث عائشة المتقدم قالت: «حشوت للنبي ﷺ وسادة فيها تماثيل كأنها نمرقة، فجاء فقام بين البابين وجعل يتغير وجهه، فقلت ما لنا يا رسول الله؟ قال: ما بال هذه الوسادة؟ قالت: وسادة جعلتها لك لتضطجع عليها، قال: أما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة»[(١)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وعد النبي ﷺ جبريل فقال:«إنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني أبو طلحة رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ وكان قد شهد بدرا مع رسول الله ﷺ أنه قال:«لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة» يريد التماثيل التي فيها الأرواح[(٣)]، قال ابن حجر:« واختلف في المراد بالملائكة فقيل: هو على العموم، وأيّده النووي بقصة جبريل... فقيل: يستثنى الحفظة، وأجاب الأول بجواز أن لا يدخلوا مع استمرار الكتابة بأن يكونوا على باب البيت، وقيل: المراد من نزل منهم بالرحمة، وقيل: من نزل بالوحي خاصة كجبريل، وهذا نقل عن ابن وضاح والداودي وغيرهما ويلزم منه اختصاص النهي بعهد النبي ﷺ، لأن الوحي انقطع بعده وبانقطاعه انقطع نزولهم، وقيل: التخصيص في الصفة أي لا يدخله الملائكة دخولهم بيت من لا كلب فيه»[(٤)].

قال ابن حجر معلقاً على قصة جبريل: «وحديث أبي هريرة في السنن وصححه الترمذي وابن حبان أتم سياقاً منه ولفظه: «أتاني جبريل فقال: أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل، وكان في البيت كلب، فمر برأس التمثال الذي على باب البيت يقطع فيصير كهيئة الشجرة، ومر بالستر فليقطع فليجعل منه وسادتان منبوذتان توطآن، ومر بالكلب فليخرج»، ففعل رسول الله ﷺ،

---

(١)أخرجه البخاري (ح ٣٢٢٤).

(٢)أخرجه البخاري (ح ٣٢٢٧).

(٣)أخرجه البخاري (٤٠٠٢) وهو في مسلم (ح٢١٠٦) بدون قوله : « يريد التماثيل التي فيها الأرواح ».

(٤)فتح الباري (٣٨١/١٠).

وفي رواية النسائي:«إما أن تقطع رؤوسها أو تجعل بسطا توطأ» وفي هذا الحديث ترجيح قول من ذهب إلى أن الصورة التي تمتنع الملائكة من دخول المكان التي تكون فيه باقية على هيئتها مرتفعة غير ممتهنة، فأما لو كانت ممتهنة أو غير ممتهنة لكنها غيرت من هيئتها إما بقطعها من نصفها أو بقطع رأسها فلا امتناع»(١).

قلت: وبهذا عُلّل إقرار النّبيّ ﷺ لعائشة على اتخاذ الدمى على صور ذوات الأرواح، فقد أخرج البخاري عنها قالت:كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺوكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن إلي فيلعبن معي»(٢).

وأخرج أبو داود والنسائي من وجه آخر عن عائشة قالت: «قدم رسول الله ﷺمن غزوة تبوك أو خيبر» وفيه: «فكشف ناحية الستر على بنات لعائشة لعب فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي، قالت: ورأى فيها فرساً مربوطاً له جناحان فقال: ما هذا؟ قلت فرس، قال فرس له جناحان؟ قلت: ألم تسمع أنه كان لسليمان خيل لها أجنحة؟ فضحك»(٣).

قال القاضي عياض: اختلف الناس في هذه الأحكام، فذهب بعضهم إلى أن الممنوع من ذلك ما كان له ظل، فأما ما لا ظل له فلا بأس به وذهب بعضهم إلى منع الصور على العموم واستعمال ما هي فيه، ودخول البيت التي هي فيه، رقماً كانت أو غير رقم، في ثوب أو آلة أو حائط، يمتهن أو لا يمتهن، وهو مذهب ابن شهاب على ظاهر بعض الأحاديث العامة في ذلك، ومنه حديث النمرقة وغيره.

وذهب آخرون إلى جواز كل ما كان منها رقماً في ثوب، تمتهن أو لا تمتهن مما يعلق أم لا، وكره ما كان له ظل أو كان مصوراً في الحيطان وشبهها، مرقوماً أو غير مرقوم، وحجتهم: قوله: " رقماً في ثوب "، فخصوه بالثوب وهو مذهب القاسم بن محمد.

وذهب آخرون إلى كراهة ما كان منها في غير ثوب، وكراهة ما كان منها في ثوب لا يمتهن، أو يعلق لنصبه منصب العبادة، وعادة الكفار المعظمين لها، وأجازوا ما كان من ذلك رقماً في ثوب يمتهن ويوطأ، وحجتهم: هتك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرام، واستعماله للوسادتين منه بعد ذلك، واتكاؤه على إحداهما على إحداهما على ما جاء في الأحاديث، وهو أوسط الأقاويل وأصحها، والجامع للأحاديث المختلفة في ذلك وهو قول كثير من الصحابة

(١)فتح الباري (٢٩٢/١٠).

(٢)أخرجه البخاري (ح ٦١٣٠).

(٣)أخرجه أبوداود (ح ٤٩٣٢) والنسائي في الكبرى (ح ٨٩٥٠) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله كما في آداب الزفاف (ص٢٠٣).

والتابعين، وقول مالك والثوري وأبي حنيفة والشافعي، ولا يختلف في كراهة ما كان له ظل ووجوب تغييره وكسره، إلا ما ورد في اللعب بالبنات لصغار البنات والرخصة في ذلك[1].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:« وهل يلحق بذلك لباس ما فيه صورة لأن في ذلك امتهاناً للصورة ولا سيما إن كانت الملابس داخلية ؟

الجواب: نقول لا يلحق بذلك، بل لباس ما فيه الصور محرم على الصغار والكبار، ولا يلحق بالمفروش ونحوه، لظهور الفرق بينهما، وقد صرح الفقهاء رحمهم الله بتحريم لباس ما فيه صورة، سواء كان قميصاً أو سراويل أم عمامة أم غيرها»[2].

ويجدر التنبيه إلى أنّ حكم اتخاذ صور ذوات الأرواح عام في كل صورة ولا فرق بين ما صنع باليد أو ما صنع بالآلة لأنّ العلة هنا تختلف عن علة النهي عن التصوير، فلا تلازم، إذ قد يصنع الصورة من لا يتخذها، وقد يتخذها من لا يصنعها، والعلة من تحريمها متحققة في كل أنواعها بلا فرق.

ورغم كل هذا الاختلاف فإنّهم يتفقون على تحريم تعظيم الصور، وتحريم أيّ فعل يدل على التعظيم، كتعليقها وإبرازها على الحيطان أو في الميادين أو نحو ذلك لأنّ في هذا مشابهة لفعل الجاهلية الّذين كانوا يعبدون الأصنام ويعظمون تصاويرها، ولأنّ ذلك ذريعة لعودة الشرك عبر عبادة الصور وتعظيمها[3].

**المبحث الثالث: أثر الصور الحسية على القلب وسلامة القلب**

التعلق بالصور من أعظم أبواب الشرك بالله، فإنّ النفوس ضعيفة أمام ملذاتها وشهواتها، وقد حببت لها الشهوات وزُيّنت كما قال تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[آل عمران:١٤]، وأعظم ما يدخل الفتن إلى القلوب ويفتنها هو البصر، فإنّ صور الأشياء هي مدخل الإعجاب وتعلق القلب بالدنيا وملذاتها، ولهذا قال تعالى:﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[طه:١٣١]، فأمره أن لا يتمنّى ما فيه أهل الدّنيا من النعم الّتي يفتنهم الله بها، وعبّر بالعين لأنّ العين هي التي تدرك الملذات وتنقل صورها إلى القلب فيتمنى، فإذا صرف بصره عنها أغلق عامة ذلك عنه.

ولهذا جعل غض البصر طريقا إلى العفة وسببا لها إذ أمر به أهل الإيمان فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾[النور:٣٠] وقال: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ

---

(1)إكمال المعلم (٦/٦٣٤-٦٣٥).

(2)القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٣١٢).

(3)انظر حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (ص١٥٥) و القول المفيد لابن عثيمين رحمه الله (٢/٣١١).

﴿يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[النور:٣١]، لأنّ تأمل محاسن الرجل أو المرأة يوقع القلب في الفتنة ويعلّقه بصاحب الصورة، فيشغله بالتمني والطمع، فإذا غض المؤمن بصره كف عن نفسه عامة ذلك.

إذا عرفنا ذلك فإنّ من أعظم أسباب الفتنة والشرك بالله التعلّق بالصور تعظيما لها ولأصحابها أو محبة لها ولأصحابها، إذ القلب قد يغفل وينسى ويلتهي بالدنيا وأسباب العيش فيها، فإذا عاين المحبوب المعظم أو ذكره بسماع صوته أو صوت من يشبهه أو اسمه حن القلب وهاج ما هو كامن فيه من الهوى والتعلّق، كما قال المجنون:

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أطراب الفؤاد ولا يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلي طائرا كان في صدري

وليس ذلك حصرا على أهل العشق المذموم، بل هو فطرة وطبيعة، فعن عائشة قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺفعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال:«اللهم هالة بنت خويلد»[١]، قال ابن حجر:«"ارتاع" من الروع بفتح الراء أي فزع، والمراد من الفزع لازمُه وهو التغير، ووقع في بعض الروايات "ارتاح" بالحاء المهملة أي اهتزّ لذلك سرورا»[٢].

والعبد إذا حصل له ذلك بلا تكلّف ولا طلب كان هذا مما يُبتلى به من النظر المحرم الذي أمر فيه النّبيّ ﷺ بصرف البصر، فعن جرير بن عبدالله قال: «سألت رسول الله ﷺعن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري»[٣]، ولكن كثيراً من الخلق يطلب ذلك ويتعمّده بخلق الصور أو اتخاذها ثم تعظيمها وتكرار النظر فيها وإليها حتى يتعلّق القلب بها تعلقاً يصعب عليه قلعه، ثمّ قد ينتهي به الأمر إلى عبادة الصورة وصاحبها إمّا بتعظيمه أو بمحبته وعشقه وكلاهما باب للشرك واسع.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما:«صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد أما ود كانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع كانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبإ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى

(١)أخرجه البخاري (ح ٣٨٢١) ومسلم (ح٢٤٣٧) وهذا لفظه، وعند البخاري (ارتاع).
(٢)فتح الباري (١٤٠/٧).
(٣)أخرجه مسلم (ح ٢١٥٩).

مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عبدت»[١].

قال ابن حجر: «وأخرج الفاكهي من طريق عبيد الله بن عبيد بن عمير قال: أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح، وكانت الأبناء تبر الآباء، فمات رجل منهم فجزع عليه فجعل لا يصبر عنه؛ فاتخذ مثالا على صورته فكلما اشتاق إليه نظره ثم مات ففعل به كما فعل حتى تتابعوا على ذلك فمات الآباء، فقال الأبناء: ما أتخذ آباؤنا هذه إلا أنها كانت آلهتهم، فعبدوها»[٢]، هذا في أصل شرك الناس وأساس اتخاذهم الأصنام.

ومن أعظم أنواع الشرك شرك المحبة، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة:١٦٥]، ويدخل في هذا محبة التعظيم، كمحبة الرؤساء والآباء وسائر المعظمين، ومحبة العشق كمحبة الزوجة والخدينة والنسوان والمردان.

والمحبة الصارفة عن الواجب من محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ ودينه هي أساس الشرك، وقد لا تصل بالعبد إلى عبادة غير الله لكنّها تصرف القلب عما أمر به من محبة الله وتشغله بمحبوبه وبما يحبه عن محبة الله ومحابّه تعالى، وأشدّ ذلك ما كان في غطاء محبة الله ومحبة دينه كما يفعله ضلاّل المتصوفة من التعلق بالصور المحرمة وعشق النسوان أو المردان بدعوى محبة الله فيهم والشوق إلى الآخرة بهم نعوذ بالله.

قال ابن تيمية:«التعلق في الصور يوجب فساد العقل وعمى البصيرة وسكر القلب بل جنونه»[٣].

وقال: «النفس الصافية التي فيها رقة الرياضة ولم تنجذب إلى محبة الله وعبادته انجذاباً تاماً، ولا قام بها من خشية الله التامة ما يصرفها عن هواها، متى صارت تحت صورة من الصور استولت تلك الصورة عليها كما يستولى السبع على ما يفترسه، فالسبع يأخذ فريسته بالقهر ولا تقدر الفريسة على الامتناع منه، كذلك ما يمثله الإنسان في قلبه من الصور المحبوبة تبتلع قلبه وتقهره فلا يقدر قلبه على الامتناع منه، فيبقى قلبه مستغرقاً في تلك الصورة أعظم من استغراق الفريسة في جوف الأسد، لأنّ المحبوب المراد هو غاية النفس له عليها سلطان قاهر»[٤].

---

(١)أخرجه البخاري (ح ٤٩٢٠).

(٢)فتح الباري (٦٦٩/٨).

(٣)مجموع الفتاوى(٤٢٥/١٥).

(٤)السابق (٥٩٥/١٠).

وقال ابن القيم في ضمن فوائد غضّ البصر:«أنه يسد على الشيطان مدخله من القلب، فانه يدخل مع النظرة وينفذ معها الى القلب أسرع من نفوذ الهوى في المكان الخالي، فيمثل له صورة المنظور إليه ويزيّنها ويجعلها صنماً يعكف عليه القلب، ثم يعِدُه ويمنيه ويوقد على القلب نار الشهوة، ويلقى عليه حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل اليها بدون تلك الصورة»[١].

وقال كذلك:«فلا يمكن ان يجتمع في القلب حب المحبوب الأعلى وعشق الصور أبداً، بل هما ضدان لا يجتمعان، بل لا بد أن يخرج أحدهما صاحبه، فمن كانت قوة حبه كلها للمحبوب الأعلى الذي محبة ما سواه باطلة وعذاب على صاحبها، صرَفه ذلك عن محبة ما سواه، وإن أحبه لن يحبه إلا لأجله أو لكونه وسيلة له الى محبته، أو قاطعاً له عما يضاد محبته وينقصها، والمحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب وأن لا يُشرك بينه وبين غيره في محبته، وإذا كان المحبوب من الخلق يأنف ويغار أن يشرك في محبته غيره ويمقته لذلك ويبعده ولا يحظيه بقربه ويعده كاذباً في دعوى محبته مع أنه ليس أهلا لصرف قوة المحبة اليه، فكيف بالحبيب الأعلى الذي لا تنبغي المحبة إلاّ له وحده، وكل محبة لغيره فهي عذاب على صاحبها ووبال، ولهذا لا يغفر سبحانه أن يشرك به في هذه المحبة ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فمحبة الصور تفوّت محبة ما هو أنفع للعبد منها، بل يفوت محبة ما ليس له صلاح ولا نعيم ولا حياة نافعة إلاّ بمحبته وحده، فليختر إحدى المحبتين فإنّهما لا يجتمعان في القلب، ولا يرتفعان منه، بل من أعرض عن محبة الله وذكره والشوق إلى لقائه ابتلاه بمحبة غيره، فيعذب به في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، إما بمحبة الأوثان أو محبة الصلبان، أو بمحبة النيران، أو بمحبة المردان، أو بمحبة النسوان، أو بمحبة الأثمان، أو بمحبة العشراء والخلاّن، أو بمحبة ما هو دون ذلك مما هو في غاية الحقارة والهوان، فالإنسان عبد محبوبه كائناً ما كان»[٢].

وقال:«آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى عشاق الصور من النار في يابس الحطب وسبب ذلك أنّ القلب كلما قرب من العشق قوي اتصاله به بعُدَ من الله، فأبعد القلوب من الله قلوب عشاق الصور، وإذا بعد القلب من الله طرقته الآفات من كل ناحية، فإن الشيطان يتولاه، من تولاه عدوه واستولى عليه لم يألُه وَبالاً، ولم يدع أذى يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله»[٣].

---

(١)الجواب الكافي (ص١٢٦).

(٢)السابق (ص١٢٨).

(٣)السابق (ص١٥٢).

والصور المقصودة هنا صور الأشخاص أنفسهم أي أشكالهم وهيآتهم، فإنّ الافتتان بها طريق لصنع تصاوير وتماثيل لهم تكون دليلا على شدّة التعلّق.

وما مضى من كلام الشيخين يتحدث عن الصور الشهوانية، ويُقال مثله في الصور الطاغوتية، أي صور المعظمين من الآباء أو الرؤساء أو الأولياء، فإنّ النفوس الجاهلة التي لم تتنور بنور التوحيد والعلم بالله تستولي عليها محبة الصور، ولهذا تجد العبد كلما كان أكثر شركا كلما وجدت بيته أو محل عمله مليئاً بالصور المحرمة المعظمة على الحيطان والمناضد، صور الإنسان أو الحيوان، تجده منجذبا إليها محبا لها ولو لم يكن معظما لأصحابها بالضرورة، أما أهل الشرك الوثنيين فصور أوثانهم وطواغيتهم تملأ حياتهم وأماكن عباداتهم، فتعلقهم بالصور تعبير عن تعلقهم بمن صوروا لهم تلك الصور،ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: لما اشتكى النبي ﷺذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية، وكانت أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فرفع رأسه فقال: «أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوّروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند الله»[1].

ولأنّ النفوس متعلقة بالصور الحسية والأصل في الناس الجهل والظلم والمسارعة لأسباب الشرك فإنّ الشريعة جاءت بسدّ أيّ ذريعة للشرك، فأمرت بهدم الأوثان ومحق التصاوير بشتى أنواعها منعاً لثائرة الشرك الخامدة في قلوب الجهال فإنّهم يسارعون إلى الشرك في هيئة التعبد لله تعالى، وقد أخبر ﷺ أنّ الساعة لا تقوم حتى يعود الشرك إلى جزيرة العرب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة» وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية[2]، ولهذا كانت وصية النّبيّ ﷺ لعلي رضي الله عنه كما صحّ أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفاً إلا سويته»[3].

---

(1)أخرجه البخاري (ح١٣٤١).

(2)أخرجه البخاري (ح٧١١٦) ومسلم (ح٢٩٠٦).

(3)أخرجه مسلم (ح٩٦٩)، وقد سبق.

**الفصل الثالث: مسائل خبرية**

**وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: تشكل الملائكة والجن في الصور المختلفة**

ثبت في غير ما نص ظهور الملائكة والجن في صور حسية مشاهدة مغايرة لخلقتهم التي خلقهم الله عليها، فمن ذلك،قوله تعالى:﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴾[الذاريات:٢٥]وهم من الملائكة جاؤوه في صورة البشر فهب يقدم لهم الطعام كما يقدمه لسائر ضيفه، فأحجموا عن الطعام وبينوا له حقيقتهم فقال لهم حين علم أنّهم من الملائكة: ﴿فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[الذاريات:٣١].

ولما ذهبوا إلى لوط على هيئة فتية صباح الوجوه لم يعرفهم عليه السلام ولم يعرف أهل القرية كذلك بل حسبوهم بشرا فحزن وقال:﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴾ [هود:٨٠]فعند ذلك طمأنوه:﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾[هود:٨١]

كذلك في قصة مريم قال تعالى:﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴾ [مريم:١٩]وكان جبريل عليه السلام كما جاء في التفسير.

والسنة كذلك جاءت بمثل ما جاء به القرآن ومن أشهر ذلك ما صحّ عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺفقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟فقال رسول الله ﷺ:«أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا، فيكلمني فأعي ما يقول»(١).

ومنه حديث عمر بن الخطاب في سؤال الرجل للنبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وأمارات الساعة، وفيه قوله ﷺ:«يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»(٢).

وفي الصحيح أن جبريل أتى النبي ﷺوعنده أم سلمة فجعل يتحدث فقال النبي ﷺ: " لأم سلمة من هذا أو كما قال قالت: هذا دحية، فلما قام قالت: والله ما حسبته إلاّ إياه حتى سمعت خطبة النبي ﷺيخبر خبر جبريل»(٣).

---

(١)أخرجه البخاري (ح٢) ومسلم (ح٢٣٣٣).

(٢)حديث مشهور أخرجه مسلم في الإيمان (ح٢) ، من مسند عمر رضي الله عنه، وطرقه ورواياته كثيرة متعددة ، انظر الإيمان لابن منده (١١٦/١) وما بعدها ، وجامع العلوم والحكم لابن رجب ، الحديث الثاني منه ، والحافظ ابن حجر في الفتح (١٤١/١) وما بعدها

(٣)أخرجه البخاري (ح ٤٩٨٠)، ومسلم (ح ٢٤٥١).

هذا في الملائكة، وأمّا الجن فمنه حديث أبي هريرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺفذكر الحديث فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان»(١).

وفي الصحيح كذلك في قصة الشاب الأنصاري الذي وجد امرأته على الباب فأراد طعنها غيرة منه وفيه: «فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به ثم خرج فركزه في الدار فاضطربت عليه فما يدري أيهما كان أسرع موتا الحية أم الفتى ؟ قال فجئنا إلى رسول الله ﷺفذكرنا له وقلنا ادع الله يحييه لنا فقال استغفروا لصاحبكم ثم قال: إنّ بالمدينة جناً قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان»(٢)، قال النووي:«قال العلماء معناه وإذا لم يذهب بالإنذار علمتم أنه ليس من عوامر البيت ولا ممن أسلم من الجن بل هو شيطان فلا حرمة عليكم فاقتلوه ولن يجعل الله له سبيلا للانتصار عليكم»(٣).

ففي هذه النصوص تصريح واضح بأنّ الملائكة وكذلك الجان وهي من الغيب الذي حجب الله عن البشر رؤيتهم في خلقتهم الحقيقية وهبهم الله القدرة على التشكّل في صور مخلوقات أخرى مما يألفه الناس، كالبشر والحيوان والشجر وغير ذلك، وهو أمر تشكك فيه أهل الأهواء وتأثر بهم بعض الشراح فاستشكلوا لك بناء على مقدماتهم العقلية الّتي تمنع تحول العناصر، قال ابن حجر: «قال إمام الحرمين(٤): تمثل جبريل معناه أن الله أفنى الزائد من خلقه أو أزاله عنه، ثم يعيده إليه بعد، وجزم ابن عبد السلام بالإزالة دون الفناء، وقرر ذلك بأنه لا يلزم أن يكون انتقالها موجبا لموته، بل يجوز أن يبقى الجسد حيا، لأن موت الجسد بمفارقة الروح ليس بواجب عقلا، بل بعادة أجراها الله تعالى في بعض خلقه، ونظيره انتقال أرواح الشهداء إلى أجواف طيور خضر تسرح في الجنة.وقال شيخنا شيخ الإسلام(٥): ما ذكره إمام الحرمين لا ينحصر الحال فيه، بل يجوز أن يكون الآتي هو جبريل بشكله

(١)أخرجه البخاري (ح ٣٢٧٥).

(٢)أخرجه مسلم (ح ٢٢٣٦).

(٣)المنهاج شرح صحيح مسلم (١٤/٢٣٥).

(٤)أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني فقيه شافعي من أئمّة المتكلّمين المتأخّرين توفّي سنة(٤٧٨ ه)، سير أعلام النّبلاء (١١/ ٥٠٦).

(٥)إذا قال ابن حجر شيخ الإسلام فهو عمر بن رسلان بن نصير، سراج الدين البلقيني، ألف في علم الحديث (محاسن الإصطلاح وتضمين ابن الصلاح) وله شرح على البخاري والترمذي وأشياء أخر. مات سنة (٨٠٥ه)، ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي (١/٢٠٦).

الأصلي، إلا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجل، وإذا ترك ذلك عاد إلى هيئته، ومثال ذلك القطن إذا جمع بعد أن كان منتفشا فإنه بالنفش يحصل له صورة كبيرة وذاته لم تتغير، وهذا على سبيل التقريب» ثم قال ابن حجر:«والحق أن تمثل الملك رجلا، ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه، والظاهر أيضا أن القدر الزائد لا يزول ولايفنى، بل يخفى على الرائي فقط»[1].

قال القرطبي في شرح حديث حكيم بن حزام:«والحاصل من هذا الحديث، ومن قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[مريم:١٧]ومن غير ذلك من الكتاب والسنة: أن الله تعالى قد مكَّن الملائكة، والجن من التشكل في الصور المختلفة، والتمثيل بها، مع أن للنوعين في أنفسهما خلقاً خاصة بهما، خلقهما الله تعالى عليها، كما قال ﷺ:« لم أر جبريل على صورته التي خلق عليها غير مرتين»[2]، والبحث عن كيفية ذلك التمثيل بحث ليس وراءه تحصيل، والواجب التصديق بما جاء من ذلك، ومن أنكر وجود الملائكة والجن وتمثلهم في الصور فقد كفر»[3].

ومما دلت عليه النصوص أنّ الملائكة والجان كلاهما إذا تشكل في صورة معينة جرت عليه أحكام الصورة، بدليل حديث موسى مع ملك الموت فعن أبي هريرة قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت قال فرد الله إليه عينه وقال ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي ربّ ثم مَه ؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن»[4]، وكذلك حديث الأنصاري الذي قتل الحية دل على ذلك، وهو ظاهر النص، والتفريق بين الملائكة والجان في هذا غير صحيح، وليس ذلك بمستبعد ولا مُستنكر، فإنّ الصورة حاكمة على المصوَّر، وهذا يؤكد أن تشكلهم حقيقي وليس وهما أو مجرد تخييل كما تقوله الفلاسفة ونحوهم، والمبتدعة يتوقفون في مثل هذه النصوص بسبب أصولهم العقلية الّتي جعلوها حكما على النصوص الشرعية، خلاف طريقة أهل الإسلام[5]، وإذا كان النص صح بقلب الأعيان أو مجيئ الأعراض في صورة الأعيان، مثل مجيء الموت في صورة كبش أملح يوم القيامة

(١)فتح الباري (٢١/١).

(٢)أخرجه مسلم (ح ١٧٧) عن عائشة مرفوعاً وسياقه أطول، وهو عند البخاري (ح ٤٨٥٥) وغيره من قولها.

(٣)المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٧٢/٦).

(٤)أخرجه البخاري (ح ١٣٣٩)، ومسلم (ح ٢٣٧٢) وهذا لفظه.

(٥)انظر تفسير الرازي في تفسير قوله تعالى: {فإذا هي ثعبان مبين} وانظر عمدة القارئ (٤٧٠/١٢-٤٧١).

وذبحه بين الجنة والنار[١]، ومثل مجيء العمل في صورة الرجل في القبر[٢] ومثل مجيء البقرة وآل عمران كسحابتين[٣].

فتشكل الأعيان في صور أخرى أهون وأسهل، ولولا الحرص على عدم التوسع لسردنا النصوص الكثيرة والدلائل العقلية الّتي تتوافق في هذا الأمر، والله أعلم.

**المبحث الثاني: نصوص المسخ للكلب أو الحمار أو الخنزير هل هو للحقيقة أو للصورة فقط ؟**

جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة:٦٥]، ورد عن عامة السلف منهم ابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم كالإجماع أنّهم صاروا قردة لها أذناب، تعاوى بعد ما كانوا رجالاً ونساء، ولم يخالف في هذا إلا مجاهد رحمه الله إذ قال: إنّه مسخ للقلوب وليس للخلقة، حكاه ابن جرير عنه وردّه بمخالفة الظاهر وإجماع أهل العلم بالتفسير [٤].

وقال تعالى:﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾[المائدة: ٦٠].

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«أما يخشى أحدكم –أو لا يخشى أحدكم– إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار»[٥].

قال ابن حجر رحمه الله:«اختلف في معنى الوعيد المذكور فقيل: يحتمل أن يرجع ذلك إلى أمر معنوي، فإن الحمار موصوف بالبلادة فاستعير هذا المعنى للجاهل بما يجب عليه من فرض الصلاة ومتابعة الإمام، ويرجح هذا المجازي أن التحويل لم يقع مع كثرة الفاعلين، لكن ليس في الحديث ما يدل أن ذلك يقع ولا بدّ، وإنما يدلّ على كون فاعله متعرضاً لذلك، وكون فعله ممكناً لأن يقع عنه ذلك الوعيد، ولا يلزم من التعرض للشيء وقوع ذلك الشيء، قاله ابن دقيق العيد[٦]،قال ابن بزيزة[١]: يحتمل أن يراد بالتحويل المسخ أو تحويل الهيئة

---

(١)أخرجه البخاري (ح ٤٧٣٠) ومسلم (ح ٢٨٤٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢)ثبت في حديث البراء بن عازب أخرجه أحمد (٢٨٧/٤و٢٩٥)، وأبوداود (ح٣٢١٢)، وابن ماجه (ح١٥٤٨) ، والنسائي في الكبرى (ح٢١٣٩) وقد صحّحه الحاكم ، وقال البيهقي : «هذا حديث كبير صحيح الإسناد» وانظر أحكام الجنائز للألباني (ص١٥٩).

(٣)أخرجه مسلم (ح ٨٠٤).

(٤)جامع البيان (١٧٣/٢).

(٥)أخرجه البخاري (ح ٦٩١)، ومسلم (ح٤٢٧).

(٦)الامام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ العلامة شيخ الاسلام تقى الدين أبو الفتح محمد بن على بن وهب بن مطيع القشيرى المنفلوطى الصعيدي المالكى والشافعي صاحب التصانيف ومنها الإلمام بأحاديث الأحكام،وغيره، توفي سنة (٧٠٢ه)تذكرة الحفاظ (١٤٨٣/٤).

الحسية أو المعنوية أو هما معاً، حمله آخرون على ظاهره إذ لا مانع من جواز وقوع ذلك، وسيأتي في كتاب الأشربة الدليل على جواز وقوع المسخ في هذه الأمة، وهو حديث أبي مالك الأشعري في المغازي فإن فيه ذكر الخسف وفي آخره: "ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة.. يقوي حمله على ظاهره أن في رواية ابن حبان من وجه آخر عن محمد بن زياد:«أن يحول الله رأسه رأس كلب» فهذا يبعد المجاز لانتقاء المناسبة التي ذكروها من بلادة الحمار، مما يبعده أيضاً إيراد الوعيد بالأمر المستقبل وباللفظ الدال على تغيير الهيئة الحاصلة، ولو أريد تشبيهه بالحمار لأجل البلادة لقال مثلا فرأسه رأس حمار، وإنما قلت ذلك لأن الصفة المذكورة وهي البلادة حاصلة في فاعل ذلك عند فعله المذكور فلا يحسن أن يقال له يخشى إذا فعلت ذلك أن تصير بليداً، مع أن فعله المذكور إنما نشأ عن البلادة. قال ابن الجوزي في الرواية التي عبر فيها بالصورة: هذه اللفظة تمنع تأويل من قال المراد رأس حمار في البلادة، ولم يبين وجه المنع»[٢].

وفي صحيح البخاري عن أبي مالك الأشعري عن النّبيّ ﷺ أنّه قال:«ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علَم يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم يعني الفقير لحاجة فيقولون ارجع إلينا غداً، فيبيّتهم الله ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»[٣].

وهذه النصوص على ظاهرها، فإنّ الله الذي خلق الأشياء من عدم على صورتها، قادر على أن يقلبها ويحولها خلقاً آخر، وما ذلك على الله بعزيز.

وقد اختلف العلماء في الممسوخين هل يمكن أن يكون لهم نسل وعقب أم لا؟ فمنهم من قال: لا مانع من أن يكون الممسوخون لهم نسلٌ وأعقاب، وأن يكون بعض الحيوانات من نسلهم،واحتج هؤلاء ببعض الأحاديث منها قولهﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة: «فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ يُدْرَى مَا فَعَلَتْ». وفي رواية: «ولاَ أُرَى إِلاَّ أَنَّهَا الفَأْرُ، أَلاَ تَرَوْنَ أَنَّهَا إِذَا وُضِعَتْ لَهَا أَلْبَانُ الإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْ، وَإِذَا وُضِعَتْ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبَتْ»[٤] ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم أن أمة من بني إسرائيل فُقدت، وأنه يظن أنَّهَا الفأر. والفأر هو الحيوان المعروف. واستدل على ذلك بأن أصل بني إسرائيل ألا يشربون ألبان الإبل، ولا يأكلون

---

(١)عبد العزيز بن ابراهيم بن احمد القرشي، التميمي، التونسي، المعروف بابن بزيزة (أبو محمد) صوفي، فقيه، مفسر، من تآليفه: الاسعاد في شرح الارشاد، شرح الاحكام الصغرى لعبد الحق الاشبيلي، تفسير القرآن، وشرح التلقين، توفي سنة (٦٦٢هـ)، معجم المؤلفين لكحالة (٢٣٩/٥).

(٢)فتح الباري (١٨٤/٢).

(٣)أخرجه البخاري (ح ٥٥٩٠) عن هشام بن عمار، معلقاً مجزوما به، ووصله أبوداود (ح٤٠٣٩)، والعلم هو الجبل.

(٤)أخرجه البخاري (ح ٣٣٠٥) ومسلم (ح٢٩٩٧).

لحومها، تأسيا بيعقوب حين حرمه على نفسه، فكان النبي صلى الله عليه وسلم ظن أنه مُسخ. وعلى أن الفأر مَسْخٌ فالفأر يتناسل.

واستدلوا كذلك بحديث جابر بن عبدالله قال: أتي رسول الله ﷺبضب فأبى أن يأكل منه وقال:«لا أدري لعله من القرون التي مسخت»[1].

وذهب آخرون من العلماء إلى أن الممسوخ لا يعيش فوق ثلاثة أيام، ولا يشرب ولا يأكل، ولا يكون له نسل ولا عقب، ففي صحيح مسلم: أنّ أم حبيبة زوج النبي ﷺذكرت عنده القردة والخنازير من مسخ فقال: « إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك» [2]، قال النووي:«أي قبل مسخ بني إسرائيل فدل ذلك على أنها ليست من المسخ»[3].

وقد انتصر له القرطبي ووجّه الحديث الذي احتج به أصحاب القول الأول فقال:«كان هذا حدساً منه ﷺ قبل أن يوحى إليه أن الله لم يجعل للمسخ نسلا، فلما أوحى إليه بذلك زال عنه ذلك التخوف، وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ، وعند ذلك أخبرنا بقوله ﷺلمن سأله عن القردة والخنازير: هي مما مسخ ؟ فقال: «إن الله لم يهلك قوما أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلاً وإنّ القردة والخنازير كانوا قبل ذلك» وهذا نص صريح صحيح،وثبتت النصوص بأكل الضب بحضرته وعلى مائدته ولم ينكر، فدل على صحة ما ذكرنا»[4].

(١)أخرجه مسلم (ح ١٩٤٩).

(٢)أخرجه مسلم (ح ٢٦٦٣).

(٣)شرح مسلم (٢١٤/١٦).

(٤)الجامع لأحكام القرآن (ص٤٤٢) بتصرف يسير.

## الخاتمة

في خاتمة هذا البحث أوجز أهم النتائج التي برزت من خلاله:

**أولا:** صحة ما أجمع عليه السلف الصالح من وصف الله بالتصوير وإطلاق اسم المصور عليه سبحانه، وأنّ له صورة، وأنّه خلق آدم على صورته.

**ثانيا:** تحريم التصوير باليد تحريما غليظا لما فيه من علة المضاهاة بخلق الله.

**ثالثا:** اتخاذ الصور وتعظيمها من أسباب الوقوع في الشرك .

**رابعا:** تأثير الصور وعشقها والتعلق بها في القلب ودعوته للشرك به تعالى.

**خامساً:** صحة ما اتفق عليه السلف من تشكل الملائكة والجن على الصور المختلفة وأنّ أحكام الصورة تجري عليهم .

**سادساً:** الإيمان بحقيقة ما أجمع عليه السلف من مسخ اليهود إلى قردة، وأنّ ذلك في قدرة الله تعالى والإيمان بما أخبر به النّبيّ ﷺ من وقوع ذلك في المستقبل.

**سابعاً:** خطأ المناطقة في تعريف الصورة وموقفهم من الحدود المنطقية باعتبارها طريقا وحيدا لتصور الماهية.

**التوصية:**التوسع والتعمق في فهم دلالات الألفاظ القرآنية الشرعية المرتبطة بمسائل العقيدة وبيان انسجامها وتناغمها مع اللغة وما أجمع عليه سلف الأمة من العقائد.

## قائمة المصادر


١. الإبانة الكبرى، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، ت:رضا معطي ورفقاه، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض ، ط : متعددة.
٢. آداب الزفاف، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ، ط : ١٤٠٩هـ.
٣. الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، ت: عبد الله بن محمد الحاشدي ، الناشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.
٤. الأعلام ،خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط٨ .
٥. إكمال المعلم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، ت: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط:١٤١٩ هـ–١٩٩٨ م.
٦. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، ت:سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩.
٧. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة العلوم والحكم، ط: ١٤٠٨، ت: د. موسى سليمان الدويش.
٨. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت:مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط:،١٤٢٦ه.
٩. تاريخ الإسلام
١٠. تأويل مختلف الحديث، عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري، دار الجيل – بيروت ، ١٣٩٣ – ١٩٧٢، ت:محمد زهري النجار.
١١. تذكرة الحفاظ
١٢. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر كثير ، دار طيبة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ، ت : سامي السلامة .
١٣. كتاب التوحيد، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت : عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد – الرياض، ط : الخامسة ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م
١٤. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط : الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

١٥. الجامع لأحكام القرآن
١٦. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية – بيروت
١٧. حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ
١٨. دَرْءُ تَعَارُضِ العَقْلِ وَالنَّقْلِ (أو)مُوَافَقَةُ صَحِيْحِ المَنْقُوْلِ لِصَرِيْحِ المَعْقُوْلِ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، ت:محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية – الرياض ، ١٣٩١ه
١٩. ذيل تذكرة الحفاظ، للذهبي
٢٠. الرد على الجهمية، محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده،المكتبة الأثرية – باكستان، ت: علي محمد ناصر الفقيهي
٢١. الرد على المنطقيين،أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار المعرفة – بيروت
٢٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:الأولى، ١٤١٥ هـ
٢٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد الثاني، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط : الرابعة ١٤٠٥ه.
٢٤. سلسلة الأحاديث الضّعيفة، المجلد الثالث، مكتبة المعارف، ط : الثانية ١٤٠٨.
٢٥. السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني،ت : د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم – الدمام، ط: الأولى ١٤٠٦ه.
٢٦. السنة، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، ت:محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط:الأولى ، ١٤٠٠ه.
٢٧. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٢٨. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد،ط : الطبعة : الأولى ـ ١٣٤٤ هـ .
٢٩. السنن، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر – بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٠.السنن، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ت : أحمد محمد شاكر وآخرون
٣١.السنن، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر ، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد
٣٢.سير أعلام النّبلاء، محمد بن أحمد الذهبي
٣٣.شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، ت: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية،ط: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م
٣٤.شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الرابعة ، ١٣٩١ه.
٣٥.الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، ت:الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن – الرياض / السعودية، ط: الثانية، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
٣٦.صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ت: شعيب الأرنؤوط ،ط: الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٣
٣٧.صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ
٣٨.صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ت:محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٩.الصفات، علي بن عمر الدارقطني، مكتبة الدار – المدينة المنورة، ط: الأولى ، ١٤٠٢ه،ت : عبد الله الغنيمان.
٤٠.الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار العاصمة – الرياض، ط: الثالثة ، ١٤١٨ – ١٩٩٨م،ت : د. علي بن محمد الدخيل الله
٤١.ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم – دمشق، ط: الرابعة، ١٤١٤ه.
٤٢.العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ،ت: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط: الثانية، ١٤٢٦ هـ .
٤٣.عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي.

٤٤. الفتاوى الكبرى ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار المعرفة – بيروت، ط:الأولى ، ١٣٨٦ه،ت : حسنين محمد مخلوف
٤٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بعناية : محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩ه.
٤٦. القول المفيد، لاين عثيمين رحمه الله
٤٧. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، جمع : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم.
٤٨. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ، ١٤١١ ه – ١٩٩٠م، ت : مصطفى عبد القادر عطا
٤٩. المستصفى في علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ، ١٤١٣ه، ت : محمد عبد السلام عبد الشافي
٥٠. المسند، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة.
٥١. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط: الثانية ، ١٤٠٣، ت : حبيب الرحمن الأعظمي
٥٢. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ط: الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م، ت : حمدي بن عبدالمجيد السلفي .
٥٣. معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٥٤. معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، ت: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب
٥٥.، ط : ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م.
٥٦. معيار العلم، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعارف بمصر.
٥٧. مفاتح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٢٠ هـ
٥٨. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، ت: محيي الدين ديب ميستو ورفقاه، (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت)، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.
٥٩. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، دار المعرفة – بيروت ، ١٤٠٤ه، ت : محمد سيد كيلاني .

٦٠. المنطق ، الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي .
٦١. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية ، ١٣٩٢ ه.
٦٢. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة: (من ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ)، عدة ناشرين.
٦٣. نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ت:رشيد بن حسن الألمعي، ط: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م
٦٤. النهاية في غريب الحديث والأثر،أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية –بيروت،١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م،ت: طاهر أحمد الزاوى–محمود محمد الطناحي.